بنت أكابر

تأليف

محمد على محمد حماد

إبهار

الطبعة: الأولى

المؤلف: د. محمد على محمد حماد

تصنيف الكتاب: رواية (بنت أكابر)

التصميم والإخراج: / حسن عبد الحليم

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ٢٢٤٧٧ / ٢٠١٩

الترقيم الدولى: 978 - 977 - 6768 - 59 - 8

تنويـــه

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ولايحق لأي جهة أو شخص نقل أو نشر

الكتاب أو جزء منه إلا بموافقة المؤلف كتابيًّا

وأي تشابه في الأحداث أو الأشخاص هي من

وحي خيالا لمؤلف ولا تمت للواقع بصلة

محمد على حماد

تنبيه هام جدًا

يحظر تحويل هذا العمل إلى منتج إذاعى

أو تليفزيونى أو سينمائى دون التعاقد

الكتابى مع المؤلف وأى شخص أو جهة

يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

بلادى وإن جارت عليَّ عزيزة
وأهلى وإن ضنوا عليَّ كِرام

الأهـــــداء

إلى ذلك الإنسان الطيب الودود الخلوق
دائمًا حبيبي وحبيب الجميع.
الأستاذ الدكتور | محمد عبد المحسن هاشم
أدامك الله فخرًا وعشقًا لنا جميعًا.

الفصل الأول

ما قبل البداية

هناك فى تلك القرية العتيقة وفى ذلك اليوم اصطف طالبات مدرسة الشهباء الإعدادية في صمت يستمعون إلى إذاعة المدرسة الصباحية، بينما اصطف الناظر والمدرسون أمام الطالبات ...وبوجه مشرق وصدر منشرح استقبل زياد الصاوى مولد هذا اليوم الجديد .....زياد الصاوى مدرس اللغة العربية بالمدرسة ذاك الوسيم المرح ...ذو التسعة والعشرون عامًا..صاحب الجسد اللائق والوجه المشرق.. شىء ما يدفعك لاحترامه والقرب منه حينما تراه للوهلة الأولى تشعر نحوه بجاذبية خاصة ... تشعر أنك أمام شخصية عظيمة .... ومع انتهاء مراسم طابور الصباح بدأ الطالبات فى الزحف نحو الفصول ومن خلفهم تحرك كل معلم إلى فصله

بينما توجه الأستاذ زياد إلى حجرة المعلمين تلك الحجرة التى تتوسطها مائدة طويلة مستديرة يحيط بها عدد من الكراسي الخشبية .....من حقيبته الجلدية أخرج دفاتره وأقلامه وبدأ في تحضير دروسه.

ـ صباح الخير يا أستاذ زياد

نهض زياد مُرحبًا بذاك القادم

ـ صباحك جميل مثل اسمك يا أستاذ جميل

رد زياد التحية على جميل وكيل المدرسة ذلك النحيف الأنيق ذو الخمسين خريفاً، صاحب المكانة الاجتماعية الرفيعة فهو برغم ثرائة ومكانته إلا أنه شخص متواضع ومحبوب من الجميع

ـ ـ كيف حالك يا مستر زياد ؟ أما أن الاوان لتتزوج ؟

ـ وما الذى جنيتموه أنتم أيها المتزوجون ؟

ـ حصلنا على زهور فى البيوت ودفء في المساء وأشياء أخرى لن تدركها إلا إذا جربتها.

خرجت تلك الجملة ممزوجة بابتسامة جميلة من فم الأستاذ طنطاوى مدرس الرياضيات بالمدرسة ..ذلك الدؤوب المخلص والذى لا تفارق الابتسامة وجهه. في ملامحه شيء من السمرة زادته حلاوة ووسامة

ـ أهذا هو أنت يا أستاذ طنطاوى ....ترى هل انتهيت من غسيل الأوعية لزوجتك أم أنها قد ضربتك كالمعتاد

رد طنطاوى ممازحًا : ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب أيها الأعزب التعيس.

أطلق زياد ضحكة مرحة قائلا:التعيس هو من يحمل الهموم على عاتقه ...أحضر لنا كذا وكذا وفي المساء ولا يستطيع النوم من

بكاء الأطفال ....أليس كذلك يا أستاذ جميل ؟

جميل: أنت مخطىء تمامًا يا بنى فالزواج سكن واستقرار وخصوصًا إذا ما أحسنت الاختيار ؟

ـ إنها المحاضرة الصباحية لإقناع الأستاذ زياد بمزايا الزواج ....أليس كذلك يا سيد جميل ؟

تلاشت ابتسامة زياد حينما وقع بصرة على ذلك الوافد الجديد أنه الأستاذ علّام أو الشيخ علام كما يلقبه أهل القرية فالأستاذ علام مدرس الدراسات الاجتماعية يعمل محفظا للقرآن الكريم فى أحد الكتاتيب بالقرية، وكذلك يقوم بالخطابة فى أحد المساجد بالقرية ومع ذلك لا يشعر زياد نحوه بأى نوع من أنواع الراحة ...حاول مرارًا أن يتقبله ولكن سلوكيات علام الغير مريحه ما زادته غير البعد والفرار.

ـ وانت متأخر ربع ساعة عن حصتك الأولى كالمعتاد يا شيخ علام ...

نطقها الأستاذ جميل بشيء من الغضب والجفاف وهو ينظر إلى علام ذلك الملتحى الضخم ذو البشرة البيضاء والذى أربكته كلمات الأستاذ جميل فرد متلعثما : أنا آسف جدًا يا حضرة الوكيل ولكنها الظروف.

ـ أما أن لظروفك هذه أن تتحسن يا سيد علام ؟

ـ بلى ستتحسن قريبًا يا حضرة الوكيل

قالها وهو يلتقط بعض الدفاتر من فوق أحد الدواليب

الملاصقة لأحد جدران الحجرة مسرعًا إلى فصله الشاغر

ـ ـ أنا لا أشعر بالراحة مطلقا نحو هذا الكائن

نطق جميل بهذه الجمله في استياء وهو ينظر إلى علام وهو يهرول نحو فصله الشاغر وجسده الممتلىء يرتج

سحب طنطاوى أحد المقاعد ليجلس قائلاً : ولا أنا أشعر بالراحة نحو هذا الكائن فقد أمضيت عامًا كاملاً أعطى أولاده دروسًا خصوصية وحينما طالبته علي أجرى وأنا في بيته تحول إلى كائن آخر غير هذا الذى نراه يبكي في صلاة التهجد والتراويح تحول إلى كائن وقح همجي بل وصل به الأمر أن رفع صوته وأنا فى بيته ؟

زياد : والطامة الكبرى أنه يجمع أموال من الناس بحجة استثمارها ومعظم الناس تخدعهم اللحي والمظاهر ...أظن أن أمثال هذا سوف ينفرون الناس من اللحى والدين

جميل : ليس العيب في اللحى أو الدين بل العيب فى من يستغل الدين فى خداع الناس

طنطاوى : ولماذا لا نقول إنه الطمع ؟

زياد :ماذا ؟

طنطاوى : أقصد أنه يستغل طمع الناس وحبهم للمال فهو يعطى أرباحًا شهرية مريبة ..وكأن الناس لم تتعلم من قضية الريان ؟

ـ حضرة المدير يريدك في مكتبه يا أستاذ جميل.

نظر الأستاذ جميل إلى العم يحي العامل بالمدرسة مرددًا.

ـ حسنًا أنا ذاهب إليه

نهض الأستاذ جميل مغادرًا حجرة المدرسين بينما ظل زياد منهمكاً فى تحضير دروسه وطنطاوى يقلب فى صفحات أحد الكتب بلا هدف.

ـ طيب جدًا هو الأستاذ جميل

نطقها الأستاذ زياد دون أن يرفع عينيه عن دفتر التحضير

ـ وكذلك زوجته سيدة فاضلة منتقبة ملتزمة دينيًّا على ما نسمع

زياد: ولكن للأسف الشديد لم يرزقان بالخلف.

طنطاوى:سبحان الله ....فالإنسان منا لا ينال كل ما يريد

بينه وبين نفسه زياد غير مقتنع بكلام طنطاوى حول زوجة جميل فهو يرى أن بعض النساء يستخدمن النقاب كوسيلة لخداع المجتمع ولكنه لم يشأ أن يدخل في جدال مع هذا الأخير ...

طنطاوى : لا تنسي يا مستر زياد أن هناك اجتماع بعد الحصة الرابعة.

زياد: إذن فقد ضاعت الفسحة والحمد لله

قبل أن يعقب أى منهما بكلمة واحدة انطلق جرس المدرسة ليعلن انتهاء الحصة الأولى وبدايه الحصة الثانية وفى هدوء نهض كل منهما مغادرًا إلى فصله .

دلف الأستاذ زياد إلى الفصل مبتسمًا فوقفت الطالبات فى حماس.

زياد: صباح الخير بناتى العزيزات

ردت الطالبات التحية باحترام فأشار إليهن زياد بالجلوس بينما توجه هو إلى السبورة ليكتب التاريخ أنه اليوم الأول من شهر أكتوبر عام ألفان وستة وإلى جواره كتب عنوان الدرس:"كن جميلاً" لإليا أبو ماضى واستمر في شرحه في جو من المرح والسرور لدرجة أنه لم يشعر بمرور الوقت إلا بعد أن طرق الباب العم يحيى ليخبر الأستاذ زياد أن الفسحة قد بدأت وأن المدير ينتظره فى مكتبه لحضور ذلك الاجتماع فاضطر الأستاذ زياد لإنهاء درسه على وعد بمواصلة الموضوع، وهبط درج المدرسة ليدخل مكتب المدير ذلك الرجل المرح صاحب الروح العالية وصاحب الحس الفكاهى أنه الأستاذ ممتاز أو الحج ممتاز كما يلقبه جميع من بالمدرسة والذى ما أن وقعت عيناه على زياد حتى نهض من مكانه مُرحبًا بطريقة مسرحية مرحة.

ممتاز : فلنرحب جميعًا بإخونا الملتزم النشيط ..الابن العزيز زياد

عانقه زياد ضاحكًا : والله المدرسة بدونك لا تطاق أيها الأب العزيز.

مال طنطاوى ضاحكًا على جميل : فعلا إنها مدة طويلة منذ طابور الصباح وحتى الفسحة ...أظن أن الحج ممتاز قد افتقد أخونا زياد كثيرًا خلال هذه الفترة.

نظر زياد إلى طنطاوى وهو يصافح بقية المدرسين قائلاً : أظن أن لى نصيب من هذه النجوى.

نظر إليه طنطاوى ضاحكًا : لا حظ لك فى نجوى ولا فؤاد أبيها ...ربما يكون لك نصيب في بعض العجوة .....ربما يحدث لك ما حدث لعادل إمام فى فيلم البحث عن فضيحة وتكون نهايتك الزوجية على يد مسعده

وهنا انفجر الجمع ضاحكًا على دعابة طنطاوى فنظر جميل إلى زياد قائلاً : الأستاذ زياد يستحق أجمل الجميلات ...وبإذن الله سوف يرزق بأجمل الجميلات ....

ـ أظن أن في الأمر سر غامض ...كل مقومات الزواج متوفرة لدى الأستاذ زياد ولكنه يمتنع عن الزواج فربما كان لديه مانع صحى أو قصة حب خفية لا يعلمها أحد.

كلمات علام الخبيثة خنقت الابتسامة علي شفاه الجميع

فنظر إليه الحج ممتاز ساخطًا

ـ والآن يا سادة لنبدأ الاجتماع

وبدأ الاجتماع وقد مزقت هذه الكلمات شيئًا فى نفس زياد ...أصابه شيء من الحزن والأسي بسبب تجريح الشيخ علام .... ومضى الاجتماع وانقضى اليوم وحمل زياد حقيبته الجلدية عائدًا إلى بيته ....فى نفسه مازالت كلمات وتجريحات الشيخ علام تعكر صفو يومه ....

ـ دعْ الأمور لله يا أستاذ زياد ...

ايقظته كلمات عماد الترزى من حالة اللا وعى التى كان فيها وإعادته إلى ذلك الشارع الذى يقطن فيه وإلى ذلك النحيف عماد ذلك الترزى القبطى الذى يقضى معظم وقته على ماكينة الخياطة ليصنع تلك الملابس التى يرتديها أبناء القرية أو ذلك المعروف بالجلباب الصعيدى

ـ عذرًا عماد ماذا كنت تقول ؟

• عماد :يا إلهي ألهذا الحد أنت مهموم؟ كنت أقول لك: اجعل حملك على الله.

رد عليه زياد فى حنان :ونعم بالله إيه القبطى الطيب عماد ...كيف حال وحيدك أمجد.

رد عماد :إنه بخير يا أستاذ زياد، ولكن كنا نتعشم أن تمنحه شيئًا من وقتك لكي يتحسن مستواه فى اللغة العربية.

ـ دعنى أغير ملابسي وأتناول طعام الغداء ولنناقش هذا الأمر سويًّا فيما بعد ...استأذنك الآن ....

ـ ولماذا لا تشرفنا وتتناول طعام الغداء معنا ...أم أنك لا تحب طعام النصارى كما يفعل بعض القرويين.

أطلق زياد ضحكة صافية قائلاً : ومن هذا الذى تناول معك طعام العشاء يوم الأحد الماضى أكان شبحى أيها الترزى الماكر ...أم إنك تريد من الخالة رسمية أن تطردنى من المنزل فهى لا تتناول طعام الغداء بدونى.

ـ عمومًا أنا بانتظارك مساءً على الأقل حتى تقيس جلبابك الجديد.

ـ حسنًا أيها الجار العزيز أراك ليلاً

قالها زياد وانصرف إلى منزله الكائن بعد منزل عماد بعدة منازل .....وهناك داخل هذا المنزل الريفي البسيط المكوَّن من طابقين الطابق العلوى حيث شقة زياد والتى تتكون من ثلاث حجرات وصالة كبيرة ومطبخ مجهزة ومعدة لزواج زياد، أمَّا الطابق الأرضى فهو عبارة عن حجرة كبيرة مجهزة لاستقبال الضيوف تسمى المندرة بلغة القرية وبعد هذه الردهة القصيرة حجرة للحاجة رسمية خارجها صالة بسيطة وحمام ومطبخ.

ـ السلام عليكم أيتها الأم الرؤوم.

الأم :وعليك السلام أيها الابن الكسول المتباطيء عن الزواج ...ألن تسلم على ابن عمك ربيع إنه هنا للسؤال عن خالته وعنك.....

نظر زياد إلى ابن عمه ربيع الذى نهض لاستقباله.

ربيع : مُرحبًا بابن العم وابن الخاله : مستر زياد الصاوى ...أما أن الآوان لتسعد قلب أمك بزوجة تؤنس وحدتها وتنير تلك الدار.

زياد: يبدو أن لديك مشروعات جديدة ومقترحات جديدة.

ربيع : هذه المرة ستكون فصل الختام فعندى لك زوجة أصيلة وجميلة وبها الصفات التى تريدها.

الأم : نعم يا بني فقد ذهبت أنا وبنات عمك ورأيناها .... جميلة وطويلة ...حتى شعرها أسود وجميل

بينه وبين نفسه غير مقتنع بهذا النظام المتبع للزواج فى القرى وحتى بعض المدن ...حياة كاملة أساسها ترشيح من الأم أو الأخت أو بنات العم وتحريات من أفواه الجيران والأقارب غالبًا ما تكون مجاملة ودبلوماسية خوفًا من وصول النقد أو الذم إلى أهل العروس ...معظم الناس يجامل وينافق ويقول أن البنت محافظة ومتدينة وإن كانت غير ذلك ....وأحيانًا ينخدع الناس فى تلك الفتاة المنتقبة التى تظهر التدين أمام الجميع وبينها وبين الحاسوب أو الهاتف أمور الشرف والعفة منهما براء.

ـ لقد وافقوا أن تذهب ليلة الخميس القادمة لترى العروس ...وإن أعجبتك العروس تضع فى صينية الشاى مبلغًا من المال كما هو العرف فى قريتنا ..وإن لم تعجبك العروس فلا تضع شيئًا وتنصرف.

انتزعته تلك الجملة التى نطقتها أمه من شروده وحيرته فرد

فى سخرية:

ـ ياله من عرف اجتماعى جميل وكأنك ذاهب لشراء بضاعة ....إن أعجبتك السلعة تضع عربونا وتنصرف وإن لم تعجبك تشرب الشاى وتنصرف.

رد ربيع : هذا هو العرف السائد فى قريتنا ...أجدادنا فعلوا هذا ...كما أن هذه الفتاة من عائلة عريقة فهى بنت الحاج مجاهد كبير عائلة الشوامخ وأمها السيدة أمجاد سليلة الحسب والنسب.

ـ فى القرن الحادى والعشرين ونفكر بمثل هذا الأسلوب . الحسب والنسب ....يا ليتني كنت أوروبيًّا.

ـ هههههههه أوروبا مرة واحدة ؟؟...دعك من هذا واستعد للمقابلة يوم الخميس القادم ....اختر ثيابا جيدة وهندم شعرك.

حيرة رهيبة هى تلك التى ألمت به فهى ليست المرة الأولى التى يسلك فيها هذا الدرب فقد طرق العديد من الأبواب من قبل.. خاض هذه التجربة عدة مرات وهذا الأمر من العادات

المنبوذة والمنتقدة فى صعيد مصر ...لا يعجبه أحد ...يعيش حالة حب ...لديه مشاكل ذكورية ....أقوال كثيرة فى القرى تنتشر حول من يتردد فى اختيار الزوجة ومع ذلك هو لا يشعر بالراحة فهو بين نيران كثيرة.. نار الشائعات التى تلاحقه وما بين إلحاح أمه وأقاربه وأصدقائه .....ولكن إلى متى ...وكيف الخلاص من هذا المأزق .....

ـ لما هذا الشرود وهذه الحيرة ....صارحنى بما في نفسك ...لا تخش شيئًا فأنا ابن خالتك وابن عمك في نفس الوقت ...أنا بمثابة أخ ....مالى أراك لست مقبلا على الأمر ...لولا علمى بظروفك لظننت أن لديك ما يمنعك من الزواج .....

ـ أخشى .....

نطقها زياد فى شرود فرد عليه ربيع في دهشة : تخشى ؟ مما تخشى ؟ أخبرني مما تخشى...لقد أثرت قلقي

ـ أخشي ألا يحدث انسجام بيني وبين تلك الوافدة الجديدة .. أخشى أن تكون سيئة الخلق والطباع ...أخشي من أشياء كثيرة

ـ كلنا بشر لا نخلو من العيوب ثم أن الله عز وجل قد شرع لنا الطلاق .....

نظرت إليه أمه فى استعطاف قائلة :لقد كبرت يا بنى وليس لى ابنة كما ترى وأريد أن افرح بك وأن أرى لى أحفادًا يملئون هذه الدار من بعدى ....أرجوك يا بني لا تحرمني هذه الفرحة فأنت وحيدى وأقرانك قد ملئوا البيوت بنينا وبناتا.

فى استسلام وكمن غلب على أمره :حسنًا أمي الحبيبة سوف أذهب وأرى العروس ليلة الخميس القادمة.

_وأنا سوف أتركك لتغير ملابسك وتتناول طعام الغذاء مع خالتى الحبيبة

قالها وانصرف دون أن يعطى زياد الفرصة لدعوته أن يشاركهما طعام الغداء.

انصرف ربيع وتركه فى حيرة من أمره تركه فى لجة من الأفكار ...ترى من هى تلك الفتاة التى هو ذاهب لرؤيتها وكيف سيعرف أن كانت هى فتاة أحلامه تلك المثقفة المرحة الرشيقة أم لا ...تلك اللحظات التى سيقضيها معها فى وجود

أهلها وتحت المراقبة غير كافية ليعرف عنها أى شيء بالمرة ولا شك أنها ستظهر أفضل ما لديها من الأخلاق والثقافة على الأقل لتصطاد زوجًا تتباهى به بين نساء العائلة ....ماذا يفعل ؟ أيذهب ليسأل عنها الجيران والأصدقاء ....لن يخبره أحد بشئ ذا قيمة فالقرية مجتمع مغلق ولا أحد يعرف خبايا البيوت ....لذلك قرر أن ينام قليلا وفي المساء يناقش الأمر مع صديقه المخلص ياسر عله يجد ما يثلج صدره .....لم يدر كم مر عليه من الوقت نائما بعد الغداء إلا أنه اغتسل وارتدى ثيابه وخرج إلى شوارع القرية العتيقة قاصدًا محل صديقه ياسر لبيع وصيانة المحمول حيث يجلسان كل ليلة .....

ـ أراك حائرًا مهمومًا .....إذن فهناك مشروع زواج جديد

باغته ياسر بهذه العبارة وهو على عتبة المحل قبل أن يدخل أو يلقى التحية.

ـ ألهذا الحد أصبحت تفهمنى وتقرأ ما بداخلي.

ـ وأكثر من هذا فأنت إنسان نقى وبسيط ومعدنك طاهر ..... ألن تخبرني من هى سعيدة الحظ هذه المرة .....

_إنها فتاة من عائلة الشوامخ ...أبوها هو الحاج مجاهد كبير الشوامخ .....

_ الحاج مجاهد كبير الشوامخ ؟. أه أعرفه ذلك التاجر الثرى ...لديه بنتان شهد الكبرى ومروة الصغرى وابن يعمل موظفا مرموقًا في وزارة الكهرباء وشهد هذه تخرجت من الجامعة العام الماضى .....الشوامخ عائلة عريقة.

نظر إليه زياد فى دهشة قائلا:يحق لى أن اسميك القابلة (الداية) لأنك تعرف الكثير عن بيوت القرية .....

انطلقت ضحكة قوية من فم ياسر قائلاً : وانت يحق لى أن اسميك الانطوائى فانت لا تعرف شيئا عن أحد فى هذه القرية .....

_ والآن بماذا تنصحني أيها الحكيم فأنت تعرف طبيعة الناس فى هذه القرية ؟.

_ سكت ياسر لحظات ثم قال : بعد ظهور المحمول والإنترنت في القرى اختلفت طبيعة النساء ...فتلك التى تخرج أمام الناس منتقبة تفعل ما يندى له الجبين فى مكالمات الهواتف

الليلية .....

ـ جئتك ألتمس الطمأنينة فما زدتنى غير الحيرة.

ـ تشعرني أنك مقبل على الانتحار لا على الزواج ...توكل على الله ...ولن ترى غير ما قدّره الله لك ..... عمومًا لو لا قدر الله يمكنك الانفصال .....

ـ وكأنك قد جئت بالذئب من ذيله أيها الحكيم .

قالها ثم انفجرا معًا في ضحكة مدوية وانتقلا من موضوع إلى آخر ومر الوقت سريعًا

إنه يوم الخميس ذلك اليوم المرتقب ...عاد زياد من عمله ليستعد لتلك المقابلة الهامه فى حياته .....ترى ما الذى سيحكيه لتلك الشريكة المرتقبة ....أيحدثها عن نفسه ...أيترك لها الفرصة لتتحدث هى نفسها ....أطروحات كثيرة دقت أبواب عقله ....إلا أنه من الضرورى أن يذهب إلى صالون العم لوندى ذلك الحلاق القبطى ليحلق لحيته وشاربه ويصلح شيئًا من شعر رأسه الناعم الأسود

ـ مساء الخير أيها القبطى الطيب العم لوندى .

نظر إليه لوندى في سعادة حقيقية قائلا:

ـ مساء الأنوار أيها الابن العزيز زياد. ...وكأنى أراك تتهيأ. لزيجة جديدة

ضحك زياد قائلاً : أليست هناك أمور خافية وسرية فى هذه.القرية العتيقة .....

ـ تفضل بالجلوس أيها العريس حتى أشرف بتجهيزك لتلك المقابلة السعيدة.

جلس زياد على ذلك المقعد الدوّار بالصالون والذى يواجه تلك المرآة الضخمة مستعدًا للإبحار فى تلك الأفكار التى كان يعيشها قبل دخوله إلى صالون الحلاقة .....

_أريد أن أحلق رأسي بسرعة يا مقدس لوندى.

نظر لوندى إلى ذلك المقتحم الفج صاحب الصوت الجهورى إنه بحبح ذلك المشاغب كثير المشاكل معتاد الإجرام دون أن يتفوه بكلمة واحدة .....

ـ هل أصابك الصمم يا خواجة .....

خرجت هذه الكلمات كحمم بركانية من فم ذلك المشاغب والذى لا يحلو له منادةالأقباط فى هذه القرية سوى بهاتين الكلمتين مقدّس أو خواجة كما يفعل الكثير من أبناء تلك القرية حينما يخاطبون أبناءها من الأقباط. .....

ـ صبرًا يا بنى حتى أنتهى من الحلاقة للأستاذ زياد. .... خرجت هذه الكلمات من فم العم لوندى مصحوبة بابتسامة باهتة مغتصبة.

ـ حسنًا يا مقدس، سوف أذهب لقضاء حاجة بسيطة وأعود بعد أن تكون قد انتهيت من الحلاقة للأستاذ زياد ..ولكن حذار أن يحلق أحد قبلي .....

بينه وبين نفسه شعر زياد بالأسي والأسف فبعض الناس في القرية ينظرون إلى أبنائها من الأقباط بشيء من الدونية والاحتقار.

ـ إنه أميّ لا يعرف شيئاً فلا تحزن ...أتمنى ألا يغضبك ما فعل هذا المشاغب فهو معتاد الإجرام .....

ـ لا عليك يا بني فقد اعتدنا على هذا فى هذه القرية وألفناه

.....فهم أهلنا على كل حال.

انتهى زياد من الحلاقة ومن تجهيز ثيابه ومضت لحظات الترقب والانتظار ....إنه مساء ذلك الخميس الموعود. ..... تلك اللحظات الفاصلة بين العزوبية والزواج.

ـ لقد شرفتنا بالزيارة يا أستاذ زياد

ـ شرف الله قدرك أيها العم مجاهد.

_سوف أتركك قليلا فلدى بعض الاعمال الهامة وسوف اعود اليك بعد قليل.

قالها وانصرف ليمنح زياد الفرصة ليحظى بالرؤية الشرعية .....لحظات الانتظار لم تدم طويلا فقد دخلت الحاجة أمجاد مبتسمة وسعيدة.

ـ أهلا يا أستاذ ....نورت دارنا وشرفتنا ...

لم تكد تنتهى من جملتها حتى دخلت ابنتها شهد تحمل صينية المشروب .....إنها شهية حقا ....بيضاء ملامحها منسقة ومنمقة جدًا ....خصلات من شعرها الأسود الفاحم انسدلت فوق

جبينها الأبيض الجميل ....فاتنة بمعنى الكلمة ...لم يستطع زياد أن يخفض بصره عنها ...وبالرغم من ذلك الخجل الذى غلفها إلا أنها منحته نظرة ساحرة من تلك العينان الحوراوان ثم سحبت عيناها بعيدًا عنه بطريقة زادته هيامًا وولهًا.....

ـ أستأذنكم لحظات فقد تركت بعض الطعام على الموقد في المطبخ وأخشى أن يحترق .....

قالتها أمجاد وانسحبت فى هدوء لتخلى الجو لزياد لكي يمعن النظر فى تلك العروس المرتقبة والتى ولأول مرة يجد فيها زياد نفسه مشدوهًا منجذبًا نحو أنثى .....فى كل المحاولات السابقة كان يلجمه الخجل إلجامًا....يحاصره الارتباك ....إلا فى هذه المرة .....وجد نفسه منجذبًا لتلك الفاتنة الحسناء.

ـ سمعت إنك حاصلة على ليسانس الآداب فى اللغة الإنجليزية.

حوار مفتعل ابتكره زياد ليسمع صوتها محاولاً معرفة المزيد عنها .....نعم أعجبه أسلوبها فى الحديث ....صوتها العذب .....أشياء كثيرة أخرى لم يلمحها فى غيرها .....تناول كوب المشروب ارتشفه فى رضا ثم أخرج ذلك المظروف المعطر

المحشو بمبلغ لا بأس به من المال والذى يعتبره أهل القرية دليلاً على قبوله للزواج من تلك الفتاة ووضعه فى الصينية أمام الفتاة .....تلك التى كانت تتابع من طرف خفى تهلل وجهها فرحًا وسرورًا حينما لمحت زياد يضع ذلك المظروف الصغير في صينية المشروب. ...

إذن فقد نجحت ابنتها فى اجتياز أولى عتبات الحياة الزوجية .....لذا فقد أقبلت فى سرور قائلة :

مروة اذهبي واطلبي من أبيكى أن يحضر ليرحب بضيفنا الغالى .....

ما أن نطقتها حتى حملت شهد الصينية ثم عادت من حيث أتت.

ـ لقد أنار وجودكم دارنا المتواضع أيها المهذب الخلوق ....قالها الحج مجاهد وهو يهم بالجلوس مشيرًا لزوجته بالرحيل.....

ـ الشرف لى أن أحظى بمصاهرتكم .....وأود أن أعرف ما هى طلباتكم وشروطكم....

ابتسم الحاج مجاهد قائلاً:

ـ لو أن الأمر بيدى يا بني لزففتها إليك بالفستان الذى عليها ...ولكنك تعلم عادات وتقاليد قريتنا .....إنها تلك الجملة التى ظاهرها فيه اليسر وباطنها من قبله المغالاة والتعنت والقسوة.

زياد: بارك الله فيكم ولكنى أود أن أعرف طلباتكم والمهر.

مجاهد:أنت تعلم أنها أكبر بناتى وأول فرحتنا من البنات وهى خريجة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية. .....ولكنى لن أشق عليك نطلب منك فقط مائتان جرام من الذهب مثلما أمهر أخيها زوجته، وبعد ذلك كلها أمور بسيطة ونحن نشترى رجلاً.

ـ تشترون رجلاً ؟!أعتقد أنكم تريدون محل مجوهرات؟!

.....

ترددت هذه الجملة بين حنايا عقل زياد دون أن ينطق بها لسانه ثم نظر زياد إلى الحاج مجاهد فى شيء من الدهشة ...مئتان جرام من الذهب ...إنه مهر عظيم جدًا كفيل بإتمام

عشر زيجات فى أكبر المدن ....ولكنها تلك القرية العتيقة .

ـ أتمنى أن نرجئ الحديث فى مثل هذه الأمور حتى يحضر خالى وبعض أهلى للاتفاق وقراءة الفاتحة ....كنت أود أن تحدد لنا موعدا .....

ـ حسنًا يا بني يمكنكم الحضور في آخر الأسبوع ساعتها سيكون أخوها قد حضر من القاهرة فهو موظف فى وزارة الكهرباء.

إنها المرة الأولى التى يشعر فيها زياد بالراحة والرغبة فى مواصلة الرحلة حتى النهاية .....

ـ أراك سعيدًا منشرح الصدر هذه المرة ....ترى هل شعرت بالقبول نحو هذه العروس الجديد .

تلك الجملة التى نطقتها السيدة رسمية انتزعته من أحلامه السعيدة وإعادته إلى أرض منزله التى يراها بشكل مختلف هذه المرة.

ـ ألم أقل لك يا خالتى إنها ستعجبه وإنها ستكون من نصيبه.

لم يكن وجود ربيع بالمشهد بالشيء الجديد ولا بالغريب

ـ إنها أنسب وأفضل زوجة لك ...حسب ونسب وجمال ...ولا تنسيا أنها بنت عم زوجتى.

ـ بني يجب عليك أن تذهب لأخوالك حتى يقفوا إلى جوارك.

لم يشأ زياد أن يدخل فى مزيد من الأحاديث بل صعد إلى شقته ....ظل يحلم بتلك اللحظات المقبلة وبتلك الكلمات الرقيقة التى سيلقيها فى سمع وقلب زوجته المستقبلية ....لا شك أنها جميلة وجامعية تختلف عن كل الأخريات اللواتى تقدّم إليهنَّ .... لم يفكر لحظة واحدة فى المهر أو الاعباء المالية فلديه ما يكفيه من معاش أبيه وبعض المدخرات التى وفرتها له أمه ولكن عليه أن يذهب فى الغد إلى بيت خاله عبدالمحسن وخاله حسان لكى يعرض الأمر عليهما ويطلب منهما العون والمشورة .....بينه وبين نفسه يميل أكثر إلى خاله عبدالمحسن ذلك الصول المتقاعد والذى لطالما حدثه عن علاقته بجمال عبد الناصر حينما كان يعمل جنديًّا متطوعًا وعن صولاته وجولاته حينما كان مجندًا فى جيش مصر العظيم قبل ثورة يوليو ...هو لا

يميل كثيرًا إلى خاله حسان ذلك الملتحى والذى لا تفوته صلاة والذى تراه باكيًا فى صلوات التهجد والتراويح ...ذلك الذي ابتلع حقوق الجميع من أطيان وأموال حتى أخيه عبدالمحسن نفسه وإخواته ...حسان ذلك الذى ما أن تحدثه فى أمر الحقوق والميراث حتى يتحول إلى كائن شرس مفترس .... قد يصل الأمر به إلى حد العنف أو أبعد من ذلك لدرجة أنه فوض أمره لله وتوقف عن المطالبة بميراث أمه .

وبعد جلسة الاتفاق أو الشروط كما يلقبها أبناء القرية تحدد كل شيء حتى موعد الزفاف الذى تم التعجيل به ... ولِمَا لا وكل الأمور جاهزة وزياد لا ينقصه شىء ...شيء واحد غص فى حلقه ...إنه قائمة المنقولات الزوجية فقد أصر الحج مجاهد أن تكون قيمتها ربع مليون جنيه ...ونظرًا لأنه معجب بتلك الفاتنة فهو يرغب في إتمام تلك الزيجة وحتى يثبت حسن النوايا فقد وافق زياد على كل شروط الحاج مجاهد وبدأ الإعداد للعرس المرتقب

الفصل الثانى
البدايـــة

جميلة تلك اللحظات التى كان يلتقى فيها زياد بشهد بعد الاتفاق وقراءة الفاتحة وعقد القران إلا أن هذه الفترة لم تستمر سوى أسبوعين وبعدها تم الزفاف .....زفاف بسيط للغاية فوق سطوح منزلهم الفسيح وفى حضور الأهل والأحباب ...

ـ حبيبتى ...لقد أضئت قلبي وحياتى وأنرتِ منزلى البسيط المتواضع.

قالها زياد فى سعادة غامرة لشهد تلك التى بدا عليها الخجل الشديد ...فأطرقت فى صمت دون أن ترفع عيناها اللتان تنظران إلى الأرض.....

بدأ هو فى خلع ملابسه وتعليقها على تلك الشماعة المجاورة

للفراش. ... وارتدى ذلك الجلباب الخفيف . .. ..

_حبيبتي أنتِ الآن زوجتي وحبيبتي .....دعى عنك هذا الخجل ....عمومًا سوف أغادر الحجرة الآن لتغيري ملابسك وعندما تنتهى من تغيير ملابس العرس هذه عليك أن تطرقى على الباب وعندها سأفهم أنك قد غيرت ملابسك .... يا حبيبتى غادر الحجرة وكل شيء مُعد وجاهز فى ذهنه سلفًا ...سوف يداعبها ويلاطفها ويسمعها أجمل عبارات العشق والغزل بعد أن يتناولان طعام العشاء سويًّا حتى على العشاء ينتوى أن يطعمها بيديه ويسمعها أجمل عبارات الحب والهيام .....حتى القبلات ...حتى تلك القطعة البيضاء من القماش الدبلان والتى تطرز على شكل منديل يوضع تحت العروس ليلة الزفاف لاستقبال ما قد ينتج من دماء نتيجة لفض غشاء البكارة. .....

طرقات خفيفة سمعها فدلف إلى الحجرة ليجد شهد قد غيرت ملابسها ..... غريبة هى تلك الحالة التى ألمت بشهد .....هل يمكن أن يصل الخجل بالفتاة ليلة عرسها إلى هذا الحد .....بعد العشاء بدا عليها حالة غريبة وصلت بها إلى حد البكاء.....

يا ليتنى مت قبل هذه الليلة.

أذهلته تلك الجملة التى خرجت من فم شهد معجونة بشيء من الندم والأسى.

ـ لا تقولى ذلك يا حبيبتي فما سنفعله هو سنة الحياة، وأكثر من ذلك لنا به أجر وثواب عند الله

بعد ذلك سارت الأمور في طريقها المرسوم والمحدد فى عقل زياد بالضبط ..... غزل ..لمسات حانية ...قبلات حارة. .. أشياء أخرى كثيرة كفيلة بإلانة وإذابة أشد. وأقسى الأحجار .... وعند الإيلاج. ..لم تنزل قطرة دم واحدة ....فقط آثار من غشاء البكارة ..... مفاجأة قاسية مذهلة تلك التى واجهت زياد فأشاح بوجهه فى صمت .....لحظات من الصمت تخللها صوت بكاء ونحيب شهد .....

_أقسم لك بالله العلى العظيم إنى بريئة ...ولم يلمسنى رجل غيرك طوال حياتى .....

ـ لا عليك فأحيانًا يكون غشاء البكارة من النوع المطاطى ولا تنزل دماء.

قالها وقد ألجمته الحيرة إلجامًا، ماذا سيفعل فى هذا الموقف العصيب ...أيضربها ؟ سوف يثير هذا الأمر حفيظة الجيران .....أينتظر حتى الصباح ويطردها ....ماذا عن قائمة المنقولات الزوجية المرعبة إنها ربع مليون جنيه ومجاهد ليس من ذلك النوع السهل اللين فقد شد وثاقه وقيّده بتلك القائمة بلا شفقة أو رحمة .

إنه لن يترك حتى مسمارًا فى حائط..بالإضافة إلى تلك الفضيحة المهينة التى سوف تحيط بالجميع.....أيسكت ويصبر ويتغاضى ماذا سيقول النسوة صباحًا إذا حضروا ووجدوا تلك الفوطة بيضاء ليس عليها أى آثار لدماء غشاء البكارة...حينها سينتشر الخبر في القرية إنها لم تكن عذراء....ولما لا تكون بريئة وغشاؤها مطاطى فقد رأى آثار ذلك بعينيه على قض.. .....

ـ ناولينى إبرة خياطة.

أدهشها الطلب فما الذى سيفعله زياد بإبرة الخياطة ...لم تسأل ولم تناقش بل أذعنت وناولته ما أراد فتناول منها الإبرة وغرس طرفها المدبب فى إبهامه وحينما بدأت قطرات الدماء فى النزول استقبلها فى تلك الفوطة البيضاء.

ـ على ما أعتقد أن الغشاء كان مطاطيًّا ..علينا أن نفعل هذا حتى تتمكنى من مقابلة الوافدين غدًا بلا خجل.

أذهلها ذلك الموقف النبيل الذى اتخذه زياد والذى ما أن فعل ذلك حتى ألقى بنفسه على الفراش متعبًا منهكًا فقد بذل جهدا يفوق الوصف فى الأيام الماضية ..وما أن وضع جنبه على الفراش حتي ذهب في سبات عميق.....لم يدر كم من الوقت مر عليه فى سباته العميق ...الا انه حينما افاق تسلل إلى انفه عطر جميل أشبه برائحة الزهور ....إنها شهد استيقظت قبله وهيأت نفسها وتجملت وجهزت له طعامًا شهيًّا .....

ـ صباحية مباركة زوجى الحبيب ....جهزت لك كل شيء للاغتسال أم أنك تريد أن تتناول الإفطار فى فراشك يا مولاى.

غادر فراشه في صمت متوجهًا إلى دورة المياه أو ذلك الحمام ليأخذ دشًا منعشًا ويغير ثيابه ثم يعود لذلك الطعام الشهى والذى لم يكن يراه فيما مضى من أيامه .....حيرة رهيبة شوشت ذهنه وتفكيره ماذا يفعل فى تلك اللحظات المقبلة وإلى من يتحدث ؟؟

ـ الأمر لا يستحق منك هذا العناء فكما قلت أنت أحيانًا

يكون غشاء البكارة مطاطى ولا يحدث أى نزيف ...كما أن شهد من عائلة عريقة محافظة لا يمكن أن ترتكب مثل هذا الجرم البشع.

تلك الكلمات المطمئنة التى نطق بها ربيع أحدثت أثرًا طيبًا فى نفس ربيع فهدأ من روعه قليلاً وعزم بينه وبين نفسه أن يراقب شهد وأن يضعها تحت الملاحظة وفى حالة حدوث ما يريب يطلقها مهما كلفه الأمر ..... لم تتوانى شهد في بذل كل ما فى وسعها لتنال رضا زياد وأكثر من ذلك تلك المودة التى أظهرتها لأمه لدرجه أنهما كانا لا يتناولان وجبة بعيدًا عن أمه بالرغم من متاعب الحمل الأول إلا أن شهد لم تقصر فى واجباتها نحو زياد وأمه....

نهارًا لا تتوانى عن واجباتها المنزلية ودفء فراش بالليل واستجابة وتفاعل قلما قدمته زوجة أخرى ... ومع ذلك فمازال هناك فى نفس زياد شيء من القلق والشك ....

لا يدرى ما سبب هذا الشعور إلا أنه فشل في التغلب عليه ومداراته حتى لا يفسد حياته بيديه وخصوصًا مع تعلق أمه بها وحبها الشديد لها وخصوصًا أنها لم ترزق بالبنات .....

تحول عجيب هو ذاك الذى ألم بزياد الصاوى بعد الزواج فقد سقط فى شرنقة العزلة كما تقع البعوضة بين خيوط العنكبوت ...شيء ما انكسر بداخله أو تغير لم يعد هو ذلك الشخص النشيط الدؤوب الأنيق .. بل تحوَّل إلى كائن آخر غير ذاك الذى يعرفه الجميع ....

تضخم كرشه وتحوّلت ملامحه وأهمل ملابسه شكل ملحوظ لدرجة أن طنطاوى وصفه ذات مرة بأنه أشبه ما يكون بسائقى الحافلات العامة .....

مبارك لك مولودك الجديد ..يا بني.

نطقها الأستاذ جميل مغلفة بالود والحنان مهنئًا زميله العزيز زياد والذى رد عليه قائلاً :

بارك الله لنا فى عمرك أيها الجميل ورزقك بالذرية الصالحة .....

ردّ عليه جميل بشيء من الأسى : كل شيء بقضاء الله يا بنى لقد حاولت كثيرًا ولكنها مشيئة الله أن أكون ممن قال فيهم ربنا سبحانه وتعالى:" ويجعل من يشاء عقيما " .....

أنا راضٍ بقضاء الله يا بني ....ولكن قل لى بما ستسمي مولودك الأوَّل .....

_ إنه طارق بلا شك ....حتى يكون طارق ابن زياد .... أليس كذلك يا أبا طارق .؟

نطقها طنطاوى ذلك المرح القادم دائمًا من الخلف فنظر إليه زياد باسمًا.

_كنت أفكر أن أسميه يحيى على اسم أبي ولم يخطر ببالى أبدًا ذلك الاسم الرائع، وكما قال المثل خدو فالكم من عيالكم .... سوف أخذ هذا الفأل الحسن من ذلك المرح ..طنطاوى ... ...

_مبارك لك مولودك الجديد يا أستاذ زياد ...وإن كان قد جاء فى الزمن الصعب . ...

خرجت هذه الكلمات من فم مستر حماد مدرس اللغة الإنجليزية بالمدرسة ذلك الجشع والذى يسعى دائمًا لجمع المال بكل الطرق والوسائل ذلك الذى يرى في نفسه قائدًا فذا وكأن الله عز وجل لم يخلق غيره نظر إليه جميل قائلاً:

أوقات الله كلها طيبة .... ومصر ستظل بخيرٍ إلى قيام الساعة ...

مستر حماد:ولما لا ترى هذا وانت من كبار الأثرياء فى القرية ومن كبار مؤيدي الحزب الوطنى

نطقها حماد بطريقة مستفزة منافية لكل الأعراف والقيم .....

_وما العيب في هذا الكثير من أهل القرية يحملون كارنيهات الحزب الوطنى ...وعلى ما أعتقد أن أبيك وأخيك يحملون بطاقات الحزب .....وهم أعضاء ...أليس كذلك. يا أستاذ طنطاوى ....؟

نطقها زياد مدافعًا عن حبيبه وصديقه جميل ...

طنطاوى :أظن أنه من الواجب أن نستعد للاجتماع فلم يتبقى سوى لحظات قليلة والحاج ممتاز ينتظر الجميع ليختار أعضاء الكنترول ويوزع علينا أعمال الامتحانات .....

نطقها طنطاوى ذلك الفطِن الكيس لكى يئد تلك الفتنة التى أوشكت أن تولد بينهم، وما أن انتهى من جملته حتى انطلق جرس المدرسة مُعلنًا مطلق تأييده لطنطاوى ذلك الذكى المرح .....

فى قرارة نفسه زياد دائمًا مقتنع أن مصر بخير وستظل كذلك، ولكنه يشعر بالقلق كلما سمع شيئًا من أخبار العراق ...ترى أى مؤمراة تدبر لتدمير هذا الوطن الكبير، وما هو نصيب مصر من هذه المكيدة .....

كان يرى دائمًا أن مصر بخير ما دام فيها الأمن والأمان ..

لطالما أقلقته تلك الأصوات الناعقة والتى تولول بالفساد وتنوح بثروات مصر الضائعة .....مر ذلك اليوم وما أسرع مرور الأيام ليعود زياد إلى بيته ليجد تلك الحنون سعيدة بولى العهد الجديد والذى كانت تأمل أن تمنحه اسم زوجها الفقيد، أمّا شهد تلك الأنيقة البهيّة فقد أعدت طعام الغداء لتشاركهم أمه تلك الوجبة كسائر الوجبات وبعد الغداء أخلد هو للنوم قليلا استعدادًا لتلك الليالى الدافئة الجميلة والتى لا يبخل هو فيها بالمجهود والذى قد يمتد حتى الصباح.

الأمر الذى أثر سلبًا على عمله .....هذا الأمر الجديد والذى سيطرت عليه لذته وحلاوته وخصوصًا مع ذلك الجسد الشهى الأبيض الدافيء والذى تثير رؤياه كل ذرة من ذرات جسده ..أصبح أسيرًا لهذا الخصر الضامر الشهى .... إلا

أن شيئًا ما فى داخله جعله يشعر بشيء من القلق .....

ـ ترى ما الذى تخبئه لك الأيام القادمة يا ابن الصاوى ؟؟.

بينه وبين وبين نفسه يقلقه هذا السؤال ومع ذلك فقد استمر فى جهاده الليلي الشبق النهم بلا هوادة

إنه الثامن عشر من ديسمبر عام ألفان وعشرة ذلك اليوم الشتوى الهادىء حيث جلس زياد فى معمل المدرسة في صحبة ذلك الخلوق طنطاوى، وذلك الودود جميل يتابعان أعمال الكنترول المدرسى استعدادًا لامتحانات الفصل الدرسى الأول وكالإعصار اندفع مستر حماد داخل المعمل .....

ـ هل رأيتم ما حدث يا سادة ...لقد انطلقت شرارة الثورة فى تونس بعد أن أشعل بو عزيز النار في نفسه احتجاجًا واعتراضًا على فساد الدولة وتلك البطالة ..... إنها بداية الشرارة التى ستقتلع الفساد من جذوره من مصر.

أى فساد هذا الذى يتحدث عنه ذلك الهوائي الأهوج الطائش ...الفساد والصلاح جزء من الطبيعة البشرية ولا

يمكن أن يبقى أحدهما دون الآخر .....لم يعيروه اهتمامًا كافيًا فغادر معمل الوسائط يجر أذيال الخزي ومع ذلك فقد فجر ذلك التصريح فى نفوسهم براكين من القلق .إلا أنهم استمرو فى عملهم فى صمت . . .

ـ يا إلهي ما هذا العبث الذى نراه فى وضح النهار....

نطقها زياد الصاوى بينه وبين نفسه وهو يشاهد تلك الحشود فى ميدان التحرير على شاشة التلفاز فى منزله ... والأدهى من ذلك أن يخرج علينا شخص محسوب على زمرة العلماء ويدَّعى أن بو عزيز شهيدًا وكأنه أحد قساوسة العصور الوسطى ممن كانوا يمنحون الناس صكوك الغفران ....أى جرأة تجرّأها الرجل ليتطاول على حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كم من المال قد نال ليخرج علينا بهذه الفتوى المثيرة للجدل والتى تدعوا الناس للانتحار والكفر بنعمة الله عز وجل. .....

حينما أرهقه التفكير وأتعبته الهواجس والظنون

قرّر أن يذهب لزيارة صديقه الودود ياسر عله يجد لديه ما يثبت به فؤاده. .....

_مالى أراك قلقا يا أبا طارق دع الأمر لله .. ابتدره ياسر بتلك العبارة وهو على باب المحل.

_ومالى لا أقلق يا أبا عبدالرحمن ألا ترى ما نحن فيه .....

_كل قضاء الله خير يا أبا طارق ..... بالمناسبة كنت قد أخبرتني أنك فى حاجة إلى هاتف حديث لزوجتك أم طارق وقد أحضرت لك هاتفا يليق ببنت الشوامخ وزوجة أعز أصدقائي .....إنه هاتف حديث تستطيع أن تخفى ما عليه من تطبيقات وكذلك به برنامج لتسجيل المكالمات ولكنى جعلته فى وضع الإخفاء .... وبه أيضًا خاصية تغيير الأصوات.

ـ أتعلم يا صديقى أن هذه التكنولوجيا أشبه بحصان طروادة على حد قول بعضهم ..نفرح بها وتستخدمها دون أن نعلم أو ندرى بشيء مما بداخلها . أليس من المحتمل أن يكون بها أجهزة تجسس تنقل أدق تفاصيل حياتنا لعدو خفي يعلم أدق أسرار بيوتنا

راقية هى تلك الضحكة التى خرجت من فم ياسر عند سماعه جملة زياد.

ـ يالك من متشائم يا ابن الصاوى ....ألن تكف عن تشاؤمك هذا.

كم هى جميلة ومريحة تلك اللحظات التى نجد فيها من يفهمنا ويشاركنا أتراح الحياة وأفراحها ...جلسته مع ياسر مذيب للهموم والأحزان من وجهة نظره.

ـ مساء الخير يا أم طارق.

نطقها زياد مخاطبًا شهد تلك بدت شهية ومثيرة فى ثوب نومها الوردى الشفاف ..جبينها ناصع البياض وتلك الأجزاء الفاتنة من جسدها جعل كل القلق والتوتر فى نفس زياد يتبخر ويتلاشي ....

ـ مساء الخير يا زوجى الحبيب .....أقلقنى غيابك .....أين كنت أيها القاسي بعيدًا عن زوجتك الحبيبة ؟

أودعت كلماتها وحروفها كل ما فى الكون من غنج ودلال ....فتنة طاغية تذهب عقل أكثر الرجال ثباتا

تنهيدة حارة محملة بكل ما فى صدرة من لهفة واشتياق .....

ـ اغمضى عينيك يا حبيبتى فقد أحضرت لك هدية متواضعة .....

أغمضت عينبها فى دلال واستسلام فمنحها قبلة حانية على وجنتها ....

ـ الآن افتحى عينيك يا حبيبتي .

ما أن نطقها حتى أخرج لها ذلك الهاتف الجديد. والذى لم تأبه له كثيرًا .....

ـ أنت عندى أهم وأعظم من كل هدايا الكون يا حبيبي ...

قالتها وعانقته عناقاً حارًا ....دفء أنفاسها فى أذنيه أصابه بحالة من الخدر اللذيذ عالم آخر من اللذة والمتعة نقله إليه ذلك الجسد الدافيء.

_ألن تغتسل يا حبيبي أم أننا سنقضى ليلتنا هنا ....أليس لنا فراش دافيء يجمعنا يا زوجى الحبيب .

ليلة شتوية دافئة جميلة تلك هى عاشها زياد وبالرغم من تلك الليالى الدافئة إلا أن هناك قلق خفى

يسيطر على أعماقه ووجدانه وخصوصًا مع تصاعد وتيرة الأحداث فاليوم هو يوم الخامس والعشرين من يناير. عام ألفن و أحد عشر ....بينه وبين نفسه يراه من أسوأ أيام مصر ..هو لا يعرف الكثير عن السياسة ولكنه حينما ينظر إلى ذاك الخراب الذى حاق بالعراق يشعر بعظمة مصر وبحجم تلك المؤمرة التى تحاك بدهاء الثعالب ومكر الشياطين لإسقاط مصر .... يسمع كثيرًا عن أموال مختلسة وفساد ولكنها مجرد شائعات والأمر الوحيد اليقيني هو أن الهدف من ورائها هو إحداث البلبلة والشغب .....

ـ انتبه لنفسك جيدًا يا بنى فقد انتشرت الفوضى وانعدم الأمن.....

نظر إلى أمه فى شفقة وأسى قائلاً : أسأل الله أن يحفظ مصر من كل سوء.

نظرات الترقب والفزع التى أطلت من عيون الناس أمرًا لم يعهده من قبل ...قلق وترقب وفزع أحاط بالجميع لدرجة أنه شعر أن المدرسة قد أصبحت بعيدة جدًا عن ذى قبل .....

حالة من الهم والوجوم ارتسمت فوق وجوه معظم العاملين

عدا ذلك الأهوج الطائش مستر حماد ... الذى اقتحم مكتب مدير المدرسة الحاج ممتاز بشيء من الوقاحة والصفاقة.

ـ لقد فعلها الرجال ...لقد صمدوا فى وجه الطاغية ورجاله .....

ـ تمهل يا بنى لا تلقى بالتهم جزافا دون دليل فكلها شائعات ...

نظر إليه حماد فى غضب قائلاً: ألا ترى ما نحن فيه يا سيادة المدير من بطالة وفساد ..... وفقر .

بينه وبين نفسه الحاج ممتاز يشعر بالغيظ من تطاول هذا المأفون فحماد هذا لم يدخل حصة كاملة طوال حياته وكل همه هو جمع المال وعن أى فقر يتحدث وقد عاش فى حجرة واحدة هو وأبيه العامل بالوحدة البيطرية وأمه وإخوته الثلاثة، ثم تحسَّنت أحواله بعد التخرج والوظيفة وأصبح له منزل مستقل وتجارة وزوجة ...أهو الطموح أم هو جشع الإنسان. .....

_ألا ترى ما فيه العراق من فوضى ودمار أتريد لمصر أن تصبح مثل العراق. ...؟

بتلك الكلمات الهادئة المطمئنة حاول جميل احتواء حماد والذى نظر إلى جميل قائلاً باستهزاء:

_أنا لا أريدها مثل العراق ...بل أنتم من يريدها مثل الصومال وأقل قيمة وقدرًا .....

سكت لحظات كمن تذكر شيئًا ذا قيمة ثم نظر إلى الحاج ممتاز والأستاذ جميل قائلاً فى سخرية واستهزاء: آسف لقد نسيت أنكم من فلول الحزب البائد المنحل.

جملته الوقحة هذه كانت بمثابة قنبلة كريهة الرائحة ألقاها بكل ما أوتى من وقاحة وقلة ذوق. عندها انفجر زياد فى وجهه قائلاً :يجب عليك أن تكون مؤدبًا مع من هم أكبر منك سنًا .....

احمر وجه حماد وعيناه من الغضب وهو يمسك بتلابيب زياد. قائلاً :أأنت من سيعلمنى الأدب يا ابن الصاوى ؟ وهنا تدخل جميل والحاج ممتاز لفض الاشتباك بينهما.

ـ كُفا عن هذا الشجار فأنتما لستما صغارًا لتفعلا هذا .

نطقها الحاج ممتاز فى غضب هادر وهو يفرق بينهما فما كان

من حماد إلا أن غادر مكتب المدير مهددًا متوعدًا.

ـ لم يكن من الواجب أن تفعل هذا يا بنى فحماد هذا طائش هوائي أحمق قليل التربية والذوق.

نطقها الحاج ممتاز. معاتبا زياد على انقياده وراء حماد.

ـ أنا آسف جدًا يا حضرة المدير لم أستطع أن أتمالك أعصابي وأنا أراه يتطاول عليكما.

ـ يبدو أنها بداية غير مبشرة بالمرة.

نطقها جميل مصحوبة بتنهيدة أسى وحزن.

وأخذت الأحداث منحى تصاعديًّا خطير تنحى مبارك ونزل الجيش إلى الشوارع وبدأت فترة من الفزع وانعدام الأمن والأمان لم ترَ لها مصر مثيلاً ....

خرج اللصوص من السجون ومعهم خرج الإخوان هؤلاء الذين لم يكن يعرف عنهم زياد الكثير ولكنه لا يشعر بالراحة نحو هذا الفصيل وخصوصًا ظهوره فى تلك الفترة العصيبة .....ليالى من السهر والترقب قضاها زياد حاملا سلاحه

المرخص،إنها تلك الطبنجة متعددة الطلقات والتى ورثها عن أبيه .. تلك الفترة التى تشبه الكابوس تغير فيها كل شيء.....

إنه اليوم العشرون من شهر مارس عام ألفين وأحد عشر يومًا مغلفة بالكآبة والحزن .....تجمعات بشرية فى طريقه إلى المدرسة وجوها تكسوها الرهبة والفزع.

ـ يقولون أن مجموعة من اللصوص قد اقتحمت منزله فجرًا وقتلته وكادت أن تقتل زوجته من أجل المال.

وصلت هذه العبارة إلى سمعه وهو فى طريقه إلى المدرسة ...ترى من هو ذلك المسكين ..... ؟؟؟؟

حينما وصل إلى المدرسة لاحظ حالة من الذهول تغلف وجوه الجميع .....طنطاوى ذلك المرح الباسم لأول مره يجلس فى حجرة المدرسين حزينًا باكيًا تتساقط الدموع من عينيه كسيول الشتاء.

ـ ما الخطب يا أستاذ طنطاوى لقد أفزعتني ....تكلم.

ـ لقد مات الأستاذ جميل .....هاجمه مجهولون عند الفجر

وقتلوه وحاولوا قتل زوجته ولكنها نجت . كوقع الصاعقة نزل هذا الخبر على زياد الذى ألجمته المفاجأة فلم يقوى حتى على الحديث.....

ـ لا شك عندى أن الغرض من وراء هذه الجريمة هو السرقة فالأستاذ جميل رحمه الله كان ثريًّا وليس لديه أولاد .. ..

ـ نطقها الشيخ علام فى شىء من الجشع والشراهة .....

ـ ولماذا لا يكون القاتل من فلول الحزب البائد ....ألم يكن الأستاذ جميل أمينا للحزب فى القرية ولديه الكثير من الأسرار والمستندات التى وبلا شك تدين الحزب ورجاله .....

إنها قنبلة جديدة من ذلك الأحمق حماد والذى يدَّعى أنه من شباب الثورة فى القرية ؛لم يعقب زياد خشية أن يشتبك مرة أخرى مع حماد. .....ترى أى مصائب تخبئها لنا الثوانى القادمة ؟؟؟؟؟. ففي ظل انعدام الأمن تصبح الحياة خطرة ومريعة.

ترى من الذى قتل ذلك البرىء جميل. ؟؟

وكأن المصائب والفواجع لا تأتى فرادى ....

إنها جريمة بشعة أخرى تعرضت لها بنت خاله حمدية مع زوجها فى وقت عودتها من عيادة الطبيب فى المركز ...لقد حاول بعض المجرمين التعرض للسيارة ولكن السائق لم يتوقف فأطلق المجرمون النار عشوائيًّا فأصيبت تلك المسكينة بطلق نارى أودى بحياتها وبحياة جنينها الذى كانت تحلم به منذ سنوات .....

لقد أفرزت هذه الثورة أسوأ ما فينا وأظهرت النوايا والقلوب على حقيقتها فمعظم البشر لا يخيفهم سوى سلطان القانون والعصا .....

إنه أشبه بكابوس مرعب مخيف ....انعدام الأمن واختفاء رجال الشرطة جعل تلك الأفاعى المختبئة فى جحورها تطل فى سفور وحقد دفين ....كم هى جميلة حقا نعمة الأمان.....

_ماذا تفعل بهذه السلاح يا زياد ؟؟.

نطقتها شهد فى دهشة وهى تشاهد زوجها زياد وهو يحشو

تلك الطبنجة المرخصة بالطلقات.

ـ لا عليك يا زوجتى العزيزة سوف أنزل إلى الشارع للمشاركة فى اللجان الشعبية لحماية الشارع ....نامى إنت فى أمان لا تخافى ...

وضع سلاحه فى ذلك الصديرى الصعيدى أسفل الجلباب ثم نزل إلى الشارع ... إنها ليلة شتوية بامتياز....

_ما كان عليك أن تغادر منزلك يا أستاذ زياد ..أنت رجل وحيد ..ونحن نقدر ظروفك.

نطقها رجب ذلك الشاب الأسمر النحيل والذى لم يحصل سوى على الشهادة الإعدادية، ومع ذلك فقد أظهر ذكاءً ومهارةً فائقة فى إصلاح أجهزة الحاسب وبرمجتها.

ـ ليس من المرؤة والرجولة أن أبقى فى بيتي كالنساء وأنتم تقفون فى هذا البرد لحماية الدور.

نظر إليه ذلك الودود الخلوق مصطفى باسمًا ....

_حسنًا أستاذى الحبيب يمكنك أن تقف هناك عند مسجد

عباد الرحمن مع تلك المجموعة هناك أو أن تكون هنا معنا بجوار مسجد زين العابدين .....

هو يشعر بالراحة والمودة نحو ذلك الاسمر النحيل مصطفى ويعشق حديثه المؤدب؛ لذا قرَّر أن يبقى في صحبته ومع تلك المجموعة التى أشعلت النيران جلس زياد يستمع إلى أحاديثهم وقصصهم ....

ـ لا شك عندى أن الثورة ستنجح وخصوصًا مع ظهور جماعة الإخوان فى المشهد فهم جماعة أهل دين ونزاهة ..ولهم تاريخ من النضال والكفاح.

نطقها أنور ذلك الملتحى، الملتحى ذو الكرش الضخم. .....

ـ طالما هم أهل دين سيكونوا أفضل من غيرهم.

نطقها مصطفى ذلك الطيب والذى لا يعرف الكثير عن السياسة ولم يقرأ الكثير .....

بينه وبين نفسه زياد لا يشعر بالراحة نحو هذه الجماعة المريبة، ولكنه يعرف نوايا أنور جيدًا فأنور يريد فقط استغلال اسم الدين لكى يصل إلى مآربه وأغراضه .....

ـ ما بك يا أستاذ زياد ؟ ما لى أراك صامتا لا تتكلم ...ترى ألا يعجبك حديثنا ؟

ـ أنا لا أعرف الكثير عن هذه الجماعة و.....

قبل أن يتم جملته قاطعته تلك الجلبة والضوضاء القادمة من ناحية منزله. فهرع هو ومن معه ناحية الجلبة.

ـ ماذا تفعل هنا يا بحبح أنت ومن معك فى هذا الوقت المتأخر من الليل عند باب المقدس لوندى ؟

نطقها أنور في شيء من الغلظة والشرر يتطاير من عينيه.

ـ لا شيء يا مولانا فقط أردت أن أحلق شعر ذقنى وحواجبي.

نطقها بشيء من التهكم والسخرية .....

ـ إنها الرابعة فجرًا وليس من اللياقة أن تطرق باب أحد فى مثل هذا الوقت من الليل.

نطقها زياد محاولاً احتواء الموقف.

ـ ومن قال إننا سنطرق الأبواب نحن فقط سوف نكسرها ونأخذ شيئًا من تلك الغلال المتراكمة فى بيت هذا القبطى .... أليست أموالهم غنيمة لنا يا شيخ أنور.

نظر إليه مصطفى غاضبًا وصاح به :

نحن لسنا فى حالة حرب يا هذا هؤلاء منا ومن واجبنا حمايتهم لا أن نفزعهم وأن نسرق أموالهم.

ـ أليس لنا أجر مقابل حمايتهم .... الأقباط فى العزبة الغربية يدفعون مقابل حمايتهم.

ـ هذه مجرد شائعات سمعناها ولم يتبين لنا صدقها من عدمه .....

نطقها أنور فى تحد واضح لبحبح ومن معه من الأشرار.

ـ وإن كنت تريد أن تفرض إتاوات فاذهب إلى العزبة الغربية لتحصل على ما تريد.

نطقها مصطفى فى تحد لبحبح الذى لم يجد من الانسحاب بد.

ـ حسنا أيها الحراس الأشداء الأمناء سوف أنصرف هذه الليلة على وعد بالعودة أن شاء الله .....

يالها من ليلة حالكة السواد. لا تكاد تمر لحظات حتى يدوى صوت الرصاص عاليًا فى أرجاء القرية ....

فقط بعد صلاة الفجر عاد زياد إلى بيته ليستريح لحظات حتى يقوى على الذهاب إلى عمله فى المدرسة .....

ما أصعب الحرمان من النوم والأصعب منه أن تنام فى الرابعة وتستيقظ فى السابعة والنصف..... أيقظه ذلك الصوت الطفولى البرىء.

ـ أبي ... ألن تستيقظ يا أبي .....

إنه ذلك الغلام الجميل طارق ذو الأربع سنوات ...قبلة حانية هى تلك التى طبعها زياد على وجنة طفله الصغير، ثم استمر فى طقوس يومه المعتاده.

الاجهاد وقلة النوم جعلا زياد أشبه بالسكران ...

ـ لا حل سوى العودة إلى الله والعودة إلى الخلافة الإسلامية

....كفى أحكاما بشرية ...الإسلام هو الحل.

نطقها الشيخ علام فى شيء من الإصرار وكأن بيده صولجان الحكم.....

ـ وكأننا فى مجتمع جاهلى يعبد الأوثان .

نطقها طنطاوى فى حزن وأسى.

ـ لا حل سوى الدولة المدنية ...نحن فى حاجة إلى دولة مدنية وديمقراطية حقيقية .

نطقها مستر حماد بلهجة ذلك الفطن المدرك لعواقب الأمور .....

نظر إليه علام ساخرًا هازئا : أنت تريدها علمانية فيها الانحلال والفساد.

نظر إليه حماد فى غضب، ثم قال:

ـ إنتأخر شخص تتحدث عن الدين يا علام فكلنا نعرف مخازيك وفضائحك.... و.....

قبل أن يستمر فى غضبه سكت فجأة كمن تذكر شيئا ثم غمز بعينه لعلام متابعًا :

هل نسيت تلك المقاطع الساخنة والتى يزخر بها هاتفك المحمول تلك التى ملئت بها هاتفك بالأمس .....

ـ أنت شخص وقح وقليل الأدب والذوق وأنا سوف أعلمك الأدب.

لم يكد ينتهى من أخر حروف عبارته حتى انقض على حماد ممسكًا بتلابيبه ثم طرحه أرضًا واشتبكا معًا فى شجار للحظات لم ينفض إلا بعد أن تدخل زياد وطنطاوى وبقية الزملاء.

ـ حسنًا أيها اللص سوف أريك من هو مستر حماد.

نطقها مستر حماد وهو ينظر إلى قميصه الذى تمزق تحت وطأة وقبضة ذلك الضخم البدين علام ثم غادر متوعدًا ومهددًا ...أجمل ما فى هذه الثورة أنها كشفت معادن الناس .. إنها لحظة الاختيار الحر التى تظهر المعادن على حقيقتها .....

رغم كل ما كان يسمعه عن أمن الدولة وبطشه وجبروته

إلا أنه أدرك قيمة هذا الجهاز الحيوي الذى كان يردع العتاه والمجرمين .. هو فقط كان يسمع من أحاديث الناس عن قسوة وبطش أمن الدولة إلا أنه لم يرَأى سوء من رجال الشرطة ...

حتى فى تلك المرة التى حدث خلاف وشجار بينه وبين أحد أقاربه ....لم يرَأى معاملة سيئة من رئيس المباحث ... إنها تلك الخشونة والفظاظة التى يفتعلها بعض المرتزقة من المخبرين والأمناء لينالوا شيئًا من الكسب والإكراميات ....

كل هذا يهون أمام ذلك الفزع والهلع الذى ألم بالجميع .. لا يكاد يمر يوم بلا مشاحنات أو مشاكل ....

ـ ماذا بك يا عماد، مالى أراك حزينًا ومهمومًا،

نطقها زياد مخاطبًا جاره القبطى عماد والذى تنطق كل ذره من ذرات وجهه بما يعانيه من الحزن واللوعة والحيرة.

ـ لقد خرج وحيدي منذ الصباح ولم يعد يا مستر زياد ...وانت تعلم أنه مريض بداء القلب وأخشى أن يصيبه مكروه .

انتقل القلق الجاثم فوق صدر عماد لا إراديًّا إلى قلب زياد

وعقله وجوراحه.

ـ لا تقلق فربما يكون قد ذهب ليلعب مع بعض الصبيان هنا أو هناك.

نطقها زياد محاولا طمأنة عماد بالرغم من ذلك القلق المريع الذى سيطر عليه هو نفسه.

_ادع له واطلب من الله ألا يصيبه مكروه.

نطقها عماد بكل ما في الكون من حزن ولوعة ومع ذلك المجهود والسهر لم يجد زياد بدا من التوجه إلى منزله داعيًّا المولى عز وجل أن يرد هذا الغلام إلى أهله ..... بعد وجبة الغداء استلقى زياد على فراشه لم يدر كم مر من الوقت ...سبات عميق أشبه بالموت .....

ـ هيا استيقظ يا حبيبي إنها الثامنة مساءً.

تسللت كلمات شهد إلى أذنيه ليجد وجه شهد الباسم الدافىء قريبًا من وجهه .... التقت شفتاهما فى عناق حميم فخاصرها وجذبها نحوه فى لهفة واشتياق ...إنها تلك اللحظات التى لا تعرف العقل أو المنطق تلك اللحظات التى ما أن يعيشها

الإنسان حتى يشعر بالراحة والاستقرار إنها تلك الرغبة الملحة التى لا تقل حيويتها عن رغبة الطعام والشراب ....رغم ما كان فيه من تعب وإجهاد ذهني إلا أن جسد شهد الشهى البض أنساه كل ما كان فيه.....

ـ ما لى أرى وجهك مشرقًا كأنك عريس فى صبيحة عرسه.

نطقها ربيع ابن عمه مازحًا مداعبًا ...إنها تلك الدعابات والأحاديث التى لا تخلو منها مجالس الرجال ...

ـ وأنت مالى أراك قد اختفيت طوال هذه الفترة ؟؟

ـ ألا ترى ما تعانيه القرية ..... أنا لم أستطع أن أغادر المنزل إلا بعد أن استيقظ أبناء عمك لاستلام نوبة الحراسة مني لقد أصبح الأمر مأساويًا.....

سكت ربيع لبرهة ثم نظر إلى زياد قائلاً: ألم تعلم بما حدث لعماد الترزى لقد اختطف بعض الأشرار ابنه الوحيد وطلبوا منه فدية .

لقد حدث ما كان يخشاه زياد يا إلهي ماذا يفعل هذا القبطى المسكين.

ـ ويا ليت الأمر اقتصر على هذا فقد اختطف اللصوص ابن الحاج محمد مهدى وابن الحاج كامل ممدوح.

نطقها ربيع ممزوجة بكل ما للكون من أسى وحزن.

ـ أظن أن مجتمعًا كهذا مازال صغيرًا على الحرية والديمقراطية .....منتهى الخطورة أن تعطى شعبًا كهذا حريته دفعة واحدة .

أومأ ربيع برأسه إيجابًا وموافقة على رأى زياد.

فى اليوم التالى وفى طريق عودته من المدرسة لمح زياد ذلك القبطي المكلوم عماد يجلس واجمًا ساهمًا...

ـ هل وصلت إلى شيء يا عماد ؟

نطقها زياد مستفسرًا ولعله يحظى برد مطمئن.

ـ أنا مستعد أن أدفع لهم كل ما يطلبون حتى لو طلبوا حياتي ....إنه وحيدى وليس عندى غيره وأكثر من ذلك أنه مريض بداء القلب ....

قالها عماد وأجهش بالبكاء نظر إليه زياد فى أسى .

يا إلهي أن ما حدث لم يكن ثورة بل كان لعنةأصابت هذا المجتمع المكبوت الجائع .. كل شخص بينه وبين الآخر خصومة يحاول أن يصفيها كل من يرى طرفا أضعف منه يسعى إلى ابتزازه وإذلاله .. يالها من لعنة تلك التى أصابت الجميع.

ـ انتبهى جيدًا لصغيرنا طارق...لا تتركيه يخرج بمفرده ...لا تتركيه يغيب عن ناظريك لحظة.

نطقها زياد فى شيء من العصبية والتوتر

ـ ترى ما الذي حدث لكى يصيبك كل هذا القدر من التوتر والقلق .

نطقتها شهد محاولة تهدئة زوجها.

_لقد حدث الكثير من جرائم خطف الأطفال وأخشى أن نفجع فى صغيرنا طارق.

عصيبة هى تلك الأيام التى تلت هذا اليوم لقد دفع عماد للخاطفين كل ما طلبوه ولكن صغيره لم يعد.

بعدها بأيام عثرت عليه الشرطة جثةً هامدةً فى إحدى

مزارع الدواجن المنتشرة على الظهير الصحراوى الغربي المتاخم للقرية .....

الفصل الثالث

الخيانة

ـ لا شك عندى أن الإخوان هم أفضل الخيارات لهذه المرحلة لأنهم أهل دين وعلى دراية بأمور السياسة ودهاليزها.

بلهجة الواثق ببواطن الأمور والعليم بخفاياها وخباياها نطق الشيخ علام هذه الكلمات فى مكتب المدير مواجهًا بها الجميع .

نظر إليه زياد قائلاً :الإخوان فصيل غريب غير واضح لم يفلح في شىء من قبل،أنا شخصيًا لا أشعر بالراحة نحو هذه الجماعة.

نظر إليه علام باستعلاء واضح قائلاً: هذا لأنك بعيد عن الدين ..بعيد عن طريق الله عز وجل .

فى نفسه يشعر زياد بسخرية ممزوجة بالحزن؛ أى طرق الله

تلك التى يتحدث عنها علام وهو أسوأ مثال للتدين فهو لا يتوقف أبدًا عن أكل أموال الناس ....حتى تلك القاصر اليتيمةالتى تزوجها قبل أن تبلغ السن القانونى لعقد القران قذفها بالبهتان ليجبرها أن تتنازل عن حقوقها ....

كل ما يجيده ويتقنه الشيخ علام هو الخطابة والبكاء فى صلاة الترويح والتهجد وهو سلاح ناجع ومفيد فى القرى تستطيع به أن تحقق مآربك وأحلامك.

ـ مالى أراك صامتا ساكتا أم أنك قد انطبق عليك قول الله عز وجل فبهت الذى كفر.

انتزعت تلك الجملة زياد من شروده وأفكاره فالتفت إلى علام قائلاً :

لا حول ولا قوة إلا بالله، هل وصل بك الحد إلى تكفير خلق الله.

ـ انت وأمثالك من العلمانين والشيوعين والملحدين لا تحبون الدين وتكرهون أهله.

نطقها علام والشرر يتطاير من عينيه..

ـ بالمناسبة هناك أمر جاد ومهم كنت أود أن أسألك عنه ؟

بجدية مفتعلة نطق طنطاوى هذه الجملة مما دفع علام أن يتحول بنظره إليه.

ـ أى أمر هذا الخطير الذى تود أن تسألنى فيه فعندى إجابة لجميع أسئلتك بإذن الله ؟

نطقها علام بشىء من الثقة.

_كنت أود أن أعرف ما هى هذه العلمانية التى ذكرتها وكذلك الشيوعية ؟

ألجمته المفاجأة فرغم تعليمه الجامعى إلا أنه لم يقرأ عن هذه المصطلحات ولا يعرف عنها أى شيء على الإطلاق.

ـ هى فرق ضالة بعيدة عن الدين مثلك أنت وابن الصاوى

ـ وما رأى فضيلتكم فى تلك الفرق التى تأكل أموال الفتيات القاصرات اليتيمات وكذلك من يأكلون أموال الناس بالباطل ؟.

نطقها زياد فى تحد واضح مخاطبًا بها علام وهو يعلم مدى

جبن هذا الأخير والذى نظر إليه فى غيظ وتحد قائلاً:

ستعلمون غدا من هوالكذاب الأشر حينما يظفر الإخوان بالحكم يا أعداء الدين وحينها ستندمون حين لا ينفع الندم.

قالها فى صوت هادر مغادرًا المكتب ثم صفق الباب خلفه فى قوة مما جعل الجميع ينظرون إليه فى استياء وسخط .

توالى مغادرة الجميع للمكتب ولم يبق بالمكتب سوى زياد والحاج ممتاز.

ـ يبدو أن القادم أسوأ .

نطقها الحاج ممتاز فى أسى فهز زياد رأسه موافقًا ومؤمنًا على قوله.

رد عليه زياد:

ـ رحم الله الطيب جميل وكأن الله قد اختاره ليستريح من هذا العناء .

ـ والمؤسف فى الأمر أن الكثير قد أطلقو لحاهم وحصلوا على بطاقة عضوية جماعة الإخوان المسلمين .

نطقها ممتاز وعلى شفتيه شبح ابتسامة بائسة مما دفع زياد أن يدلوا بدلوه قائلاً : هل رأيت كمال صاحب المخبز والذى لم يحصل من الكمال سوى فقط على الاسم لقد أطلق لحيته ومنح نفسه لقب الشيخ كمال وإذا لم تناديه بهذا اللقب فهو لن يرد عليك .

ابتسم الحاج ممتاز رغمًا عنه رغم مرارة الموقف ومأساوية الاحداث قائلاً : والأمر ذلك الشيء المسمي مواقع التواصل الاجتماعى لقد أنشأ لى أحد أولادى صفحة أطالع منها أخر الأخبار وللأسف الشديد تحوّلت إلى مواقع للتفاضح والشائعات والشتائم .

نظر إليه زياد قائلاً : لا تذكرنى ..فأنا بسبب موقفى من الإخوان أتعرض للسب والشتم واللعن بأقذع الشتائم والس باب.

الحاج ممتاز :هذه تكنولجيا طارئة على مجتمع مغلق ما زالت فيه بقايا المصاطب والأزقه ومازالت فيه ثقافة القرية راسخه فى الأذهان والوجدان .

زياد : صدقت فهذه التكنولوجيا والثورة لعنة أصابت هذا المجتمع القديم فلا نحن نفكر ونتعامل بثقافة الغرب ولا حافظنا على موروثنا الثقافى .

فجأة وكمن تذكر شيئًا نظر زياد إلى ساعة الحائط قائلاً : يا إلهي إنها الساعة الثانية والربع لقد سرقنا الحديث لدرجة أننا لم نشعر بمرور الوقت .

نطقها زياد ثم نهض من مجلسه طالبا الاذن من رئيسه بالانصراف.

وكأن الاحزان والمصائب ارادت أن تحكم قبضتها حول زياد الصاوى فقد ماتت أمه فجأة وبلا مقدمات .... يشيخ المرء منا فجاءة حينما تموت امه... تغيرت كل الاشياء من حوله غلفها الحزن والمرار ؛ حتى شهد لم تعد كما كانت فى السابق ..... تلك الحجرة التى قطنها الحزن بعد رحيل أمه ...بعد رحيلها لطالما توقف فى كل صباح ليلقى عليها التحية كما اعتاد ...تجبره العبرات على بتر عبارته فيغادر المنزل سريعًا قبل أن تنهمر المزيد من الدموع والعبرات من عينيه ...

ـ حبيبي أما أن لنا أن نتناسى الأحزان قليلاً .

نطقتها شهد بكل غنج ودلال وقد تزيّنت وتعطّرت وارتدت أبهى ثياب النوم المثيرة الشهية والتى لا يقوى أشد الرجال صلابة على مقاومتها ..

تسلل عطرها إلى أنفه حينما وقعت عيناه على تلك المناطق الناصعة البياض المثيرة ...ذلك الخصر الضامر وتلك الارداف والثدى الثائر نظر إليها زياد قائلاً:

ـ لا أخال رسّامًا مُهمًا امتلك من موهبة أن يرسم هذه الفتنة المجسّمة ولو أن أحدًا من الإغريق والرومان رأى جسدًا كهذا لنحته وجعله رمزًا للأنوثة والإغراء.

ضحكة محملة بكل ما فى الكون غنج واثارة تلك التى اطلقتها شهد حينما مست شغاف قلبها تلك الكلمات فهتفت فى دلال :ترى وانت فى حضرة ربة الأنوثة و الإغراء هل ستقضى هذه الليلة فى الغزل والإطراء فقط أم أن هناك أشياء أخرى يتوجب عليك فعلها ؟؟

خاصرها ثم طبع قبلات حاره على عنقها أسفل الأذن فى تلك المنطقة الثائرة الملتهبة وقبل أن تلتحم شفتاها بشفتاه وضعت سبابتها على شفتيه.

ـ حبيبي عليك أن تغتسل أوَّلاً فقد أعددت لك حمامًا يليق بك يا مولاى.

تذكر لحيته التى طالت فنهض إلى الحمام متناسيًا تلك الهموم والأحزان. ما أجمل تلك اللحظات الدافئة الحميمة والتى تحمل فى طياتها وجودنا بل وجود البشرية بأسرها ..

ذلك الأمرالذى يجيده ويشعر بالراحة بعد فعله ..تلك اللحظات التى لا يستطيع أحد أن يصفها تفصيلاً خوفا من أن تلتصق به تهمة الزندقة والفجور .بعد ذلك العرق الخفيف الذى أصابها استسلمت شهد لنوم عميق ....إنها المرة الأولى التى تستسلم فيها شهد من الجولة الأولى وترفع راية الاستسلام ....

اكتنفه أرق غريب لم يحاول أن يبحث له عن تفسير ....تأمل شهد الفاتنة التى استلقت على الفراش ...شعرها المبعثر فى كل أرجاء الفراش ..كل ما فيها ينطق بالأنوثة والإغراء ...نهض من فراشه ليلقى نظره على وحيده طارق فى حجرته ....

عاد إلى فراشه مجددا محاولا النوم بحث عن شيء يشغله ..فلو أن شهد ما زالت على قيد اليقظة لكان هناك المزيد من

الجولات ؛ انتزعه ذلك الصوت الذى أصدره هاتف شهد فألتقطه ليعرف سبب ذلك الصوت ....

إنها رسالة من رقم لا يعرفه ..لم يجد سوى ذلك الهاتف عله يسليه حتى يغلبه النعاس .... ما أغرب هذه التكنولوجيا ترى أى مصيبة تخبئها لنا ....لم يجد صعوبة فى التعامل مع ذلك الهاتف رغم إنها المرة الأولى ..... لفت انتباهه شىء غريب أنه برنامج تسجيل المكالمات ذلك البرنامج العجيب الذى اخبره عنه صديقه الصدوق ياسر .....شىء آخر لفت انتباهه من جديد هو ذلك الرقم الغريب والذى وصلت منه رساله للتو ...وبلا وعى ضغط باصبعه على ذلك الرقم وكأنه طرق ابواب الجحيم .....إنها مكالمة ساخنة لزوجته مع شخص غريب لا يعرفه ...عبارات حب غزل وتأوهات.

ـ حبيبي أيها القاسي كيف طاوعك قلبك وتركت حبيبتك وعشيقتك وغبت عنها كل هذه المدة .....إن هانت عليك حبيبتك فكيف يهون عليك ابننا طارق ثمرة حبنا المحرّم ..... أيها القاسي..

صعقته المفاجأة القاسية تصاعدت دماء الغضب إلى رأسة

....شهد بنت الأكابر ترتكب مثل هذا الجرم، حالة من الذهول واللا وعى تلك التى اكتنفته....تناول هاتفه وبدأ يجرب ذلك الرقم علّه يكون شخصًا يعرفه ...صفارة متقطعة تلك التى حصل عليها ولم يحصل على أى إجابة ....ماذا يفعل فى هذا الموقف الرهيب ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ترى من هو هذا الحقير ؟؟؟ إذن هذا هو سبب ذلك التغير فى سلوكيات شهد فى الفترة الماضية .لم يذق طعم النوم فى هذه الليلة بسبب تلك الأفكار التى عصفت برأسه وكيانه .... أليس من المحتمل أن تكون شهد بريئة من هذه التهمة ؟؟؟. ماذا عن هذه المعلومات الحقيقية التى ذكرتها شهد فى حديثها الفاجر مع ذلك الحقير . يا إلهي إنه العذاب بعينه .... حاول مرارًا أن يتعرف على صاحب الصوت ولكن بلا جدوى يبدو أنه يستعمل برنامج لتغيير الأصوات ...ماذا عساه أن يفعل أ يوقظها ويوسعها ضربًا حتى يعرف الحقيقة فربما كان هناك خطأ ما ...ماذا يفعل فى هذا الموقف الرهيب ...وأخيرًا قرَّر أن يتثبت من الأمر قبل أن يقدم على أى عمل يندم عليه.

ـ زياد استيقظ لقد تأخر الوقت وحان وقت العمل

تسللت كلمات شهد إلى أذنيه ففتح عينيه ونظر إليها فى شىء من التجهم والصمت .....

ـ يا إلهي يبدو أنك لم تنم جيدًا البارحة يبدو أن حادثا جللاً قد أرّقك .....

عيناه الحمروان ووجهه العابث دليل لا يقبل الشك أن هناك أمر جلل ....نهض من فراشه منهك الجسد مهزوم المشاعر ليتوجه إلى الحمام ليغتسل.

شخص آخر غير ذلك الذى كان ..تائه مُشتت الذهن. حالة من الحده والعصبيه اعترته وسيطرت عليه...

أتفه الأمور والأسباب تجعله يثور ويتعصب ....سؤال واحد أصبح يشغل كل تفكيره من هو هذا الحقير ؟؟ وهل حقًا طارق ليس ابنه ؟ وكيف له أن يتأكد من هذا؟ حالة العبوس والتجهم نظراته الشاردة .....ترى أى ذنب قد اقترفه ليلقى هذا المصير . .هو أبدًا لم يرتكب تلك الفحشاء فما الذى أوقعه فى هذا الجحيم ...وكيف له أن يتصرف ؟ بينه وبين نفسه قرَّر أن يتخذ عدة إجراءات أوّلها هو أن يذهب إلى معمل تحاليل ليتأكد من صحة حيواناته المنوية، والخطوة الثالثة أن يقوم بعمل

تحليل الحامض النووى ليتأكد أن كان طارق ابنه أم لا، وبعد التأكد عليه أن يواجه شهد وأن يتخذ معها إجراءً حاسمًا أن أثبتت تلك التحاليل صدق شكوكه .....

ـ كم من الوقت قد مر على زواجك ؟؟؟؟.

نطقها فنى المعمل بصورة روتينية وهو يدون بيانات زياد.

ـ خمس سنوات.

خرجت الإجابة من فم زياد مشحونة ومحملة بكل هموم العالم.

ـ هل أنت محوَّل من قبل طبيب ؟ وهل تريد توجيه نتيجة التحليل إلى جهة معينة ؟

ـ لست محوَّلاً من قبل أحد وأريد التحليل لحاجة شخصية.

ناوله الرجل قنينة صغيرة، ثم أشار إلى أحد المراحيض طالبا من زياد أن يدخلها ليحضر شيئًا من حيواناته المنوية .... من الصعب جدًا على الإنسان أن يحمل عبئاً كهذا ولا يستطيع أن يحدث به أحدًا. .....

ـ ألن تشاركنا فى هذه المسيرة يا سيد زياد لنشرف بحضورك معنا ؟

ـ أخرجه هذا السؤال من شروده ولجة أفكاره لينظر إلى سائله ومن معه فى دهشه فقد شغلته أفكاره وهمومه لدرجة أنه لم ينتبه إلى تلك المسيرة التى نظمتها جماعة الإخوان بالقرية تأييدًا لمرشحها القادم ...إنها مسيرة يرتدى أفرادها الجلابيب البيضاء يكبرون ويحمدون ويحملون صور مرشحهم.

_خذ هذه الصورة وضعها على مدخل بيتك واعلم أن الله سينصر عباده الصالحين .

نطقها الشيخ أنور فى ثقة وهو يقدم صورة من الصور الكثيرة التى يحملها لزياد الذى تناولها فى صمت ثم مزقها فنظر إليه الجميع شذرًا وانطلقوا فى طريقهم مهللين مكبرين بينما عاد هو إلى منزله ؛ذلك المكان الذى تحوَّل إلى قطعة من الجحيم ....من الصعب جدًا على النفس أن تحمل ما لا تستطيع أن تحكيه ....

ـ ما بك يا حبيبي أراك قد تغيرت كثيرًا ؟

نطقتها شهد فى حنان وخضوع وهى تضع الطعام أمام زياد

ذلك المكلوم الكاتم الصامت.

ـ لا شيء ...إنها تلك المأساة التى نعيشها جميعًا

نطقها زياد معجونة بالشرود والذهول وقد بدا عليه الإعياء والتعب سيطر على أعصابه إلى أقصى مدى فلو أن شخصًا مكانه لانفجر، ولكن ما جدوى الانفجار والعصبية والعنف لا شيء سوى الفضيحة وأن يتحول إلى حكاية تلوكها جميع الألسنة فى تلك القرية التى تصنع من الحبة قباب وأبنية لدرجة أنها قد قذفت رجلاً بدينا بالحبل وأنه حامل وسيضع جنينه بنقطة الشرطة كما تلد النساء.

إنها معضلة بكل المعانى والمقاييس فهو لا يستطيع أن يطلقها من أين له بمبلغ القائمة والنفقة والمؤخر....

إنها أشبه بأنشوطة محكمة حول عنقه لا يستطيع فكاكًا منها وهو يعرف جبروت الشوامخ وحتى الآن هو لم يتأكد من تلك الظنون .....

ـ افتقدتك كثيرًا يا أبي.

نطقها طارق ذلك الذى عاد للتو من حضانة الروضة وألقى

بنفسه فى حضن زياد ذلك الذى لم يأبه له كثيرًا ولم يهتم به حتى ولم يقبله كما كان يفعل فى السابق. بعيني الأنثى المدركة الخبيرة لاحظت شهد أن ثمة تغير خطير قد ألم بزياد.

ـ طارق اذهب إلى حجرتك واخلع حقيبتك وغيّر ملابسك لتتناول الغداء مع أبيك.

نطقتها شهد وهى تنظر إلى زياد نظرة استفهام.

ذكية حقا هى شهد لم تشأ أن تحاور زياد وهو فى هذه الحالة وأمام ذلك الطفل المذهول من حالة الجفاء التى أصابت أبيه؛كل ما عليها فقط أن تنتظر حتى المساء وقد كان ....عندما هبط المساء تزيّنت وتهيأت واختارت أبهى ثياب النوم وأحبها إلى قلب زياد أنه ذلك الثوب الوردى الشفاف الذي لا يخفى شيئًا من جسدها الفاتن ....

ـ ما بك يا حبيبي أراك قد تغيرت كثيرًا ....ألم تعد تشتاق إلى زوجتك الغالية الفاتنة.

قالتها شهد لزياد الجالس على طرف الفراش واجمًا ساهمًا فى حالة من الشرود بينه وبين نفسه لم يرَ منها شيئًا حتى فى حالة

إعراضه عنها تعاملت معه بعقلانية وذكاء لم تفعل كما يفعل الحمقى من النساء لم تثر لم تتهمه أنه على علاقة بغيرها وهذا الأمر يحيره كثيرًا ...لولا تلك المكالمة اللعينة لاختلف الأمر هو فقط ينتظر نتيجة التحليل وبناءً على ذلك سوف يحسم الأمر ويتخذ القرار.

ـ ألن تغير ملابسك يا حبيبي .....

قالتها ثم مالت عليه حتى كادت تلك الحبة البنية الثائرة أن ترتطم بشفتيه ثم اقتربت بشفتيها من وجهه وطبعت على عنقه قبله ساخنة ملتهبة متوهجة....أنفاسها الدافئة تلك التى عصفت بأذنيه وعنقه هيّجت في جسده كل براكين الشهوة ...لا يمكن لبشر أن يصمد أمام هذه الفاتنة الشهية ...انهارت داخله كل سدود المقاومة وحصون الممانعة ولِمَ لا يعيش تلك اللحظة حتى تخرج نتيجة التحاليل ...تلك الليلة الدافئة الحميمة التى كر فيها مسبحة الجهاد مرات حتى الصباح،إنه ذلك العناء اللذيذ الذى يريح الأبدان ويعقبه حاله من السكون والاستقرار، راحة مؤقته هى تلك التى شعر بهازياد ولكنها أبدًا لم تنسيه تلك الشكوك والظنون التى اجتاحت حياته كالإعصار هو فقط ينتظر نتيجة التحليل.

ـ ممتاز.

نطقها طبيب التحاليل وهو يتمعن فى ملامح زياد والتى لم يبدو عليها كثيرمن التغيرولم تظهرعلى وجهه أى علامة من علامات السعادة أو السرور.

ـ استاذ زياد أقول لك أن نتيجة تحاليك ممتازة أنت قادرعلى الإنجاب ربما كان العيب فى زوجتك.

تناول زياد التحليل فى صمت وقد ازددات دهشته وحيرته.

ـ ترى أيمكن أن تكون نتيجة التحليل خاطئة؟

تردد هذا السؤال فى حنايا عقله ولِمَ لا يكررالتجربة ويذهب إلى معمل تحاليل آخر طوى ذلك المظروف الذى حوى نتيجة التحليل، ثم توجه إلى معمل آخر علّه يكون مخطئًا، مازال الأمر يسيطرعليه بصورة رهيبة.

ـ مالى أراك قد فارقتنى ولم تعد تزورنى كما كنت تفعل أيها الصديق العزيز.

نطقها ياسروهو يقف على عتبة منزل زياد الذ يبدا شاردًا

حزينًا.

ـ ألن تدعونى للدخول أم أن أنك ستتركنى واقفًا على الباب.

نطقها ياسرالذى أدهشته مقابلة زياد التى اختلفت كثيرًا عنها فى الماضى.

ـ آسف حقًا صديقى العزيز فزيارتك أكثر الأشياء التى تسرنى.

قالها ثم فتح الباب ليتبعه ياسر إلى المندرة ذلك المكان المُعد والمجهزلاستقبال الضيوف ثم أجلسه على إحدى الكنبات المريحة المخصصة لاستقبال الضيوف.

ـ يبدو أن هناك خطبًا جللاًياصديقي فملامح وجهك وقسماته محمّلة بشتى أنواع الهموم والمآسي.

نطقها ياسر وهو يتفرس فى ملامح زياد فرد عليه زياد فى أسى واضح وجلى :

أتمنى ألا أكون محقا فيما أفكر وأظن.

ما إن نطقها زياد حتى اندفع يقص على صديقه وأمين سره ياسر كل شيء وبأدق التفاصيل وما إن سمع ياسر بالقصة حتى اكفهرت ملامح وجهه ثم شرد ببصره لحظات قائلاً:

عليك أن تتريث فالأمر خطير ويتعلق بعرضكو بهذا البرئ طارق عليك أن تتيقن وتتثبت..

صمت لحظات ثم أردف مطمئنا زياد قد يكون هناك خطأ ما فى الأمر.

ألن تدعونى لشراب أم أنك قد أصابك الشح.

نطقها ياسر محاولاً تغيير مسار الحديث فى نفسه يشعر بالأسي والحزن لِمَ أصاب هذا التعيس ما أصعب أن يفقد الإنسان الثقة في من حوله والأمر أن يشعر الإنسان بفقد الطمأنينة نحو زوجته شيء تغير فى زياد بعد زيارة صديقه ربما غيّرت تلك الضحكات شيئا من نفسية زياد إلا أنه حينما صعد إلى شقته بعد رحيل صديقه عاد إلى أوجاع هو أتراحه عاد إلى تلك الظنون واشكوك، داخله صراع رهيب ما بين تلك الشكوك وبينما يراه أمامه فى حجرة نومه فأمامه كانت ترقد شهد ..شعرها الأسود الناعم الفاحم الجميل تبعثر على الفراش وقد انحسر

ثوب نومها الأحمرالقصير عن أفخاذها البيضاء النقية التى تشبه المرمر، وكذلك تلك التضاريس المتباينة فتلك الأرداف المرتفعة المرنة التى تقود إلى منخفضات الخصر ...

عليه أن يحسم هذا الصراع وأن يحاول أن يتفادى هذا السلاح الناجع .. إنه جسدها الأبيض المثير الدافئ....لذا قرَّر أن ينام على طرف الفراش معرضا عن شهد، وأن يدير وجهه للناحية الأخرى حتى لا يقع فى شراك جسدها الجميل الدافئ المثير.

ـ مالى أراك تنام على طرف الفراش بعيدًا عنى يا حبيبي ؟هل أنت مُتعب لا قدر الله ؟

قالتها شهد وقد اقتربت بشفتيها من أذنيه ويدها تعبث فى شعر رأسه الأسود الكثيف، بينما يدها الأخرى أحاطت به من الخلف وأخذت تعبث فى شعيرات صدره فى حنان وألقت بأحد فخذيها عليه فى دلال ... يا إلهي لا أحد يستطيع أن يقاوم هذه الفتنة الطاغية وانتصرت هى من جديد فى هذه الجولة الساخنة والتى تكرَّرت وامتدت حتى الصباح ....شعور عجيب هذا الذى شعره زياد حينما استيقظ مزيج من الندم والراحة والهزيمة ..فى قرارة نفسه كان ينتوى هجرها وما زال،

ولكنه يشعر بالضعف أمام أنوثتها الطاغية فهو يذوب فى الحمم الأنثوية التى يقذفها جسدها الشهى ..كم كان يعشق الانصهار والذوبان فى ذلك الجسد الشهى ...ترى ماذا يفعل؟؟؟ ترى ما هو مصير هذا الصغير طارق ماذا لو تأكد أنه ليس من صلبه .أصعب ما فى الأمر أن يكتم الإنسان فى نفسه أمرًا ولا يستطيع البوح به.

ـ ممتاز

نطقها فنى المعمل وهو يطالع نتيجة التحاليل الخاصة بزياد الصاوى والتى أجراها للمرة الثانية والتى ما نال منها سوى المزيد من الحيرة.

_أنت قادر على الإنجاب وبكفاءة.

نطقها فنى المعمل وهو يطوى نتيجة التحليل تمهيدًا لوضعها فى مظروف قبل أن يناولها لزياد الذى تناولها فى صمت ثم غادر المعمل ليتجول فى شوارع تلك المدينة التجارية العريقة والتى تحوى جميع الخدمات بعكس قريته العتيقة فبرغم كبر حجمها ومساحتها وتعداد سكانها إلا أنها ما زالت قرية ويبدوا أنها ستظل كذلك مهما تقدمت الدنيا من حولها ستظل هى على

حالها بيئة خصبة لانتشار الشائعات والغيبة والنميمة وأكل المواريث والحقوق .....شيء ما فى نفسه قد هدأ واستقر ...قرَّر أن يهدأ قليلا وأن يراقب الموقف فى صمت وحذر ...ربما كان مخطئا .. هو فى قرارة نفسه يتمنى ذلك يتمنى لو أنه كان مخطئا ...

ـ أترغب فى شيء من هذه السلع يا أستاذ زياد..؟

نطقها أنور وهو يشير إلى تلك السلع الكثيرة المتراصة أمامه فى هذا الصوان والذى لم ينتبه له زياد فى بداية الأمر فنظر إلى أنور مازحًا :مبارك لك هذا النشاط التجاري الجديد أراك قد تخليت عن تجارة الحبوب والبذور ولجأت إلى تجارة السلع الغذائية.

نطقها زياد مازحًا ومداعبًا فنظر إليه أنور ساخطًا وهو يقول :هذا عمل خيري لوجه الله تعالى تقوم به جماعة الإخوان المسلمين لتخفيف العبء من على كاهل أبناء القرية.

ـ هذه سلع غذائية ممتازة لن تجدها سوى هنا.

خرجت هذه الكلمات من فم الأستاذ عيسى مدرس المواد الفلسفية بالمدرسة الثانوية فنظر إليه زياد فى دهشة قائلاً :

أستاذ عيسى ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ على حد علمى أنك لا تهتم بالسياسة ؟

نظر إليه عيسى فى بشاشة قائلاً :هى لله . تعجب زياد من وجود عيسى فى هذا المشهد فهو يعلم أن عيسى طيب بالفطرة نقى السريرة لا دخل له بألاعيب السياسة ودهاليزها ...عيسى من أطيب خلق الله .... ألهذا الحد استطاع الإخوان أن يخدعوا البسطاء فى هذه القرية العتيقة بسم الله وبسم الدين.

ـ لماذا تختار فرد ما دام بإمكانك أن تختار جماعة؟

نطقها كامل مدرس اللغة الفرنسية بالمدرسة الثانوية وهو يبتسم فى وجه زياد والذى أذهله وجود هذا العدد من مدرسى الثانوية العامة بالقرية فى هذا الصوان المكتظ بالسلع الغذائية.

ـ يا إلهي وأنت هنا أيضًا يا مسيو كامل.

خرجت هذه الكلمات من فم زياد معجونة بالحيرة والاستفهام فنظر إليه كامل باسمًا ومشيرًا إلى عيسى :كما قال الأخ عيسى هى لله.

لم يشأ زياد أن يدخل معهم فى معارك كلامية لا طائل من

ورائها فتركهم وانصرف إلى حال سبيله متوجهًا إلى بيته.

ـ حبيبي لماذا تأخرت ؟ فأنا أنتظرك لكى أتناول معك طعام الغداء..فالطعام لا يحلو أبدًا بدونك يا حبيبي. ترى أين كنت طوال هذه الفترة ؟

نطقتها شهد وهى تعاون زياد على خلع ملابسه.

زياد:أظن أن عليَّ أن أغسل وجهى ويداى قبل تناول الطعام ..ولكن أين طارق ؟؟

شهد : لقد ذهب مع أمى فقد جاءت لتطمئن علينا وتسأل عنك.

ما إن تناولا طعام الغدا حتى أخلد زياد إلى نوم عميق... لم يدر كم مر عليه من الوقت نائمًا إلا أنه حينما استيقظ وجد شهد تجلس أمام التلفاز وأمامها على الشاشة كان يُعرض فيلم "الجلسة سرية" ..يالها من مصادفة عجيبة ...ثمة مقارنة عقدها بين زهيرة بطلة الفيلم وبين زوجته شهد، ولكن ماهو ذنب ذلك المسكين طارق ...

ـ ترى ما الذى يشغلك إلى هذا الحد يا زوجى الحبيب ؟

نطقتها شهد حينما لاحظت ذلك الشرود الذى اعترى زياد والذى لم يرد عليها فنظرت إليه فى دهشة وانزعاج قائلة :

ـ ألهذا الحد أنت تفكر أم هذه القصة قد لامست وترًا من أوتار قلبك وعقلك ؟

ـ لا هذا ولا ذاك، ولكن على ما يبدو أنى لم أستطع أن أتخلص من آثار النوم كليًّا بعد.

نطقها زياد وهو يحاول أن يتماسك خشية أن يخرج منه لفظ يفتضح به أمره وشكوكه، نظرت إليه شهد قائلة: إذن عليك أن تأخذ دشًا دافئًا، ثم تأت لنتحدث قليلاً يا حبيبي.

فى صمت توجه إلى الحمام ليأخذ دشًا دافئًا علّه يفيق من هذا الدوار الذى أحاط به وبعقله وبكيانه .

بعد أن انتهى من الاستحمام وجد شهد ما زالت تتابع هذا الفيلم. بينه وبين نفسه تساءل هل حركت هذه القصة شيئًا فى نفسها ..ترى هل تشعر باللذه وترغب فى الاستمرار أم أنها تشعر بالندم أنها بريئة وكل ما يعيشه هو مجرد أوهام .. أزعجه ذلك المشهد بشدة حينما قام عبد القادر بدفع الطفل بعنف

وأخبره أنه ليس أبوه .. بينه وبين نفسه شعر بالألم لحال هذا الطفل المسكين.

ـ ياله من طفل تعيس.

خرجت هذه الكلمات من بين شفتى زياد معجونة بالأسى فنظرت إليه شهد فى حيرة قائلة :مالى أراك قد تأثرت كثيرًا بهذه القصة ...إنها مجرد رواية قد أتقن كاتبها الحبكة فخرجت بهذا الشكل المؤثر.

زياد: الواقع من حولنا ملىء بالقصص المأساوية فكم من زوجات فى ظاهرهنَّ العفة والشرف وهنَّ أبعد ما يكون عن ذلك، أسأل الله أن يعافينا من شرورهنَّ.

شهد : هل لى أن أعرف ما بك يا حبيبي فقد تغيرت كثيرًا ؟. حديثك يبدوا غامضًا مليئًا بالأسرار والألغاز...أصبح حديثك جافًا لم تعد تسمعنى كلامًا ناعمًا جميلاً.

ـ لا شيء يا زوجتى العزيزة، ولكنها الظروف التى نمر بها جميعًا ...سامحيني فحالة الهلع وعدم الاستقرار قد غيَّرت كل شىء من حولنا.

لم تشأ أن تحاصره وتستفزه بالمزيد من الأسئلة بل وبشيء من الذكاء قررت أن تغير مسار الحديث ودون أن تنظر إليه قالت :سوف أذهب إلى المطبخ لأحضر شيئًا نتناوله ونحن نشاهد الفيلم.

ـ راجع نفسك يا ابن الصاوى قبل تتخذ قرار قد تظلم فيه نفسك ومن حولك.

ترددت هذه العباره داخله، وما أن عادت شهد تحمل شيئًا من الطعام حتى التصقت به قائلة :حبيبي أنا مستعدة أن أفعل أى شيء يرضيك لكى تعود مثلما كنا.

قالتها شهد والتصقت به أكثر ووضعت رأسها على كتفه ثم طوّقته بذراعها.

دفء وحرارة جسدها حرَّك شيئًا ما فى نفسه . الكثير ممن يعرفهم يشكون من برودة وجمود الزوجات، بينما يحاول هو أن يبتعد عن هذا البركان الأنثوى المتفجر.

ـ حبيبي.

قالتها وقد اقتربت أكثر من وجهه ....حينما لفحت أنفاسها

الحارة عنقه وأذنه شعر بخدر عجيب وشىء من اللذة.

ـ أين طارق ؟

ـ إنه ما زال عند جدته ؟.

خرجت كلماتها متكسرة محملة بتنهيدة مثيرة ومعجونة بكل معانى الغنج والدلال والإثارة، وما أن نطقتها حتى اعتلته ليصبح وجهها فى مواجهة وجهه وبفخذيها فخذيه ...موجة عنيفة من القبلات الحارة، بدأت بعنقه وامتدت حتى وجنتيه وتوقفت عند شفتيه لتبدأ مرحلة جديدة من العناق الحامى الملتهب ...

ـ لا بأس من جولة ملتهبة جديدة يا ابن الصاوى.

ترددت هذه العبارة قبل أن يغرق مع زوجته فى جحيم من القبل والعناق قبل أن يحملها ويدخل بها إلى حجرة النوم ليواصل تلك اللذة والمتعة ...إنها تلك الدفقات القوية التى يهتز لها الكيان والوجدان ثم يعقبها ذلك الخفوت والصمت الجميل والذى لم يقطعه سوى صوت رشفات اللسان والشفاه.

استلقيا فى هدوء وصمت بعد ذلك المجهود اللذيذ وقد

تعرّقت شهد ثم استسلمت لنوم عميق وقد تبعثر شعرها الأسود الفاحم من حولها وانكشفت أجزاء غير يسيرة من جسدها الأبيض الجميل بينما ظل زياد مستيقظا .

كان لديه رغبة قوية أن يعيد الكَرّة، ولكنه سلطان النوم الذى سلبه زوجته الجميلة .. نهض من فراشه وتوجه إلى المطبخ ليصنع لنفسه قدحًا من الشاى حمله ثم توجه به ليجلس أمام جهاز الحاسب والذى يحلو له الجلوس إليه.

فى هذا الوقت من الليل .منذ فترة لم يطالع صفحته على الفيس بوك هذا الذى تحوَّل إلى ما يشبه المستنقع وخاصة بين أهل القرى من مؤيدى جماعة الإخوان، فطالما أنت لست معهم فأنت عدوهم .

سيول وأكوام من السباب والشتائم يتلقاها على العام وفى صندوق الرسائل سب وقذف ولعن ومعايرة كيف لجماعة تدّعى الدين أن يفعل أنصارها هذا...

والأدهى والأمر أن أحدهم شبّه محمد مرسي بنبي الله يوسف ..أى سفه وافتراء أن نشبه بشرًا عاديًا بنبي معصوم من أنبياء الله ...لم يجد بُدًا من ترك صفحته وإغلاق الحاسب ...ولكنه لم

يزل بعد على قيد اليقظة .إذن لا بأس ولا ضير من الجلوس أمام التلفاز قليلاً. ...

ـــ لنرى ما يحدث فى هذا العالم من حولنا.

نطقها زياد وهو يتجول بين القنوات الفضائية باحثًا عن تلك القناة القطرية الشهيرة.... تلك القناة التى لطالما تابعها ..... هذه المرة لاحظ شيئًا غريبًا...سياسة القناة تبدو غريبة وكأنها تحمل رسالة موجهة ....كلمات المراسل وتلميحاته تحمل رسائل مخيفة فهى تنفى مسؤلية الإخوان تمامًا بل وتطرحها بعيدًا عنهم وتحمل طرفًا آخر مجهول كل ما يحدث.

وما دام الإخوان لا يستطيعون حمل المسؤلية فلماذا هذه الضجة وهذا الصخب ...شعر بالضجر وهو يشاهد تلك القناة هى تتلاعب بالحقائق ..ترى لمصلحة من ؟؟؟ ما تفعله تلك القناه هو إثارة للفتن والقلاقل بين الناس ..أغلق زياد التلفاز وقرَّر أن يعود إلى الفراش حيث وجد شهد تغط فى نوم عميق ..راودته نفسه حينما رأى ذلك الجيد الضامر وتلك الأرداف أن يكرر ما كان على الأريكه إلا أن شيئًا ما شد انتباهه إلى هاتفها المحمول ....ترى ما الذى يحمله ذلك الجهاز

اللعين هذه المرة ؟؟؟ بلا تردد التقط الهاتف وبدأ فى البحث فى المكالمات المسجلة...يالها من ليلة حالكة السواد إنه نفس الرقم السابق ؟ ضغط بإبهامة على أيقونة التسجيل وكأنه قد ضغط على قنبلة شديدة الانفجار ..تأوهات وكلمات رقيعة وعبارات ساقطة لا تستخدمها فتيات الليل والساقطات، هى تلك التى تحاور بها شهد ذلك الرجل المجهول .. كادت رأسه أن ينفجر واستولى عليه غضب رهيب.

ـ قومى يا شهد !!!!

نطقها زياد فى غضب هادر وهو يجذبها من شعرها ففتحت عيناها فى خوف وهلع ألجمتها المفاجأة وأذهلتها ...عيناه الحمراوان وجبينه المعقود عقدا لسانها عن الكلام فتابع هو حديثه الهادر : من هو هذا الكلب الذى تحدثيه بهذه الوقاحة أيتها الفاجرة؟؟؟

ـ لا أفهم عن ماذا تتحدث !!!

جذبها من شعرها فى قوة وأجلسها على طرف الفراش وأعاد على مسامعها مكالمتها المسجلة مع ذلك الآخر المجهول ...

أذهلتها المكالمة وزاغت عيناها لحظات، ثم تمالكت أعصابها واستعادت رباطة جأشها من جديد وقالت : حبيبي أنت مخطىء تمامًا ..هل نسيت ما كان بيننا فى بداية الليل ؟

ـ إنها ليست المرة الأولى التى أستمع فيها لمثل هذه المكالمات الساقطة يا بنت الأكابر، لقد استمعت إلى مكالمات سابقة بينك وبين هذا الحقير وأريدك أن تخبريني من هو أيتها البغى ؟؟؟؟

ـ أرجوك اخفض صوتك فنحن فى هدأة الليل، وقد أوشك الفجر على البزوغ، أرجوك أن ترجىء الأمر حتى الصباح ؟؟؟؟

ـ حتى الصباح ؟؟؟ يا لك من متفائلة من قال أنك ستعيشين حتى الصباح ؟؟؟

قالها وهو يصفعها بشدة على وجهها فما كان منها إلا أن تناولت الهاتف وقذفت به فى قوة إلى الحائط فتناثر إلى فتات وأجزاء صغيرة.

ـ ألهذا الحد أصبحت لا تثق بى ...يبدو أنك قد أصبت بالجنون كما أنى لم أطلب منك هواتف ..

ـ لا تحاولى أن تخدعيني فقد سمعت كل شيء بنفسي هل وصلت بك الجرأة إلى هذا الحد أيتها البغى ...لقد أخبرتيه أن طارق هو ثمرة علاقتكما المحرمة. هل تستطيعين الإنكار.

قالها وهو يجذبها من شعرها من جديد فأطلقت صرخة حاولت قدر جهدها ألا تعلو وترتفع، ثم قالت له من بين دموعها : أرجوك دعنى وسوف أخبرك بكل شيء.

فارتخت يده الممسكة بشعرها قائلاً : حسنًا يا بنت الأكابر كلى آذان مصغية .....

ردت عليه فى استعطاف : أقسم لك بالله أنى لم أرتكب جرم الخيانة أبدًا، ولكنى استخدمت برنامج لتوليف المحادثات وكل ما سمعته لم يكن حقيقيًّا، وإنما كان مجرد برنامج.

ـ يالها من مناورة رائعة وخطة ذكية لخداع ذلك الساذج، وهل تظنين أن خدعتك هذه ستنطلى عليَّ من جديد ..... حسناً سنرى إن كان برنامج لتأليف المحادثات أم أنه برنامج للمواعدة ....

قالها ثم غادر الشقة لينزل إلى الطابق الأرضى حيث حجرة

أمه،كم كان يتمنى أن يبكي، ولكن الدموع تحجرت فى عينيه، توجه إلى دولاب أمه وأخرج تلك الطبنجة المرخصة، راودته نفسه بشدة أن يصعد إلى الطابق العلوى ويطلق النار على شهد وينهى هذه القصة، ولكن هذا لن يشفى غليلة هو لن يستريح إلا إذا عرف ذلك الكلب اللعين ...ثم ما جدوى قتلها الحل الأمثل هو طلاقها وهجرها ما جدوى أن يدمر حياته من أجل خائنة مثلها ...وضع الطبنجة مكانها ثم استلقى على سرير أمه فى حالة من الذهول والتوهان لا يدرى كيف يتصرف .

لم يدر كم مَرَّ عليه من الوقت نائمًا إلا انه حينما أفاق وصل إلى سمعه صوت أذان الظهر .لا تكفى أبدًا كلمات لوصف حالة زياد فهى مزيج من الأرق والتعب والاجهاد والانكسار .

صعد إلى شقته وهو يتوقع رحيل شهد إلى بيت أبيها، ولكن لدهشته وجدها تقف على سجادة الصلاة ... هو مؤمن بالله ويعرف قدر الدين، ولكنه لا يحب المتاجرة بالدين واستغلال الدين لخداع الخلق ...

جلس على الأريكة خلفها فى صمت حتى انتهت من

صلاتها، ثم نهضت وذهبت إلى المطبخ وأحضرت له طعام الإفطار ولم تنطق بكلمة واحدة، وبالرغم من أنه يغتسل ولم يغير ملابسه إلا أنه بدأ فى تناول الطعام على الفور فقد كان يشعر بجوع رهيب جعله يلتهم كل الطعام، ثم توجه إلى الحمام ليغتسل ويغير ملابسه وبعد أن انتهى من اغتساله وجد كوبًا من الشراب الدافيء بانتظاره ارتشفه ثم توجه إلى حاسوبه علّه يجد ما يسليه، ولكن على العكس من ذلك تمامًا وجد الجميع يتحدثون عن أزمة البنزين وعن أزمة الكهرباء وأن الرئيس عاجز لا يستطيع...

ما دام هو كذلك لماذا لا يعلنها صراحة للشعب ويتنحى ويترك الشعب يختار ؟لماذا هو متشبس بالكرسى إلى هذه الدرجة ؟؟؟ هو لم يحقق أى وعد من تلك الوعود البراقة التى قطعها على نفسه ..لم يأبه ولم يلتفت لصندوق رسائله الخاصة المتخم بالسب والقذف من شباب الإخوان لدرجة أن أحدهم قد سبَّ أمه وأبيه بأقذر الشتائم وأحط الألفاظ ...ترك المنزل تائهًا حائرًا يعتصره الألم، غمرته حاله من الذهول نقلته إلى عالم آخر ....

ـ ماذا أصابك يا أبا طارق ؟؟؟؟؟.؟. ألهذا الحد أصابك

الهم لدرجة أنك لم تلاحظ صديقك فى الطريق ؟

نطقها ياسر فى دهشة وهو يرى علامات الذهول والحيرة والحزن على وجه صديقه والذى أفاقته هذه الكلمات وأعادته إلى شوارع القرية العتيقة فنظر إلى ياسر معتذرًا قائلاً : آسف يا صديقي لم أنتبه لوجودك فقد كنت مشغول قليلاً.

ياسر : مشغول قليلاً ؟ ؟ وكيف تكون تِلال الهموم والمشاكل إذن ؟. يُخيل إليَّ أنك تحمل على عاتقك تلال من الهموم وأطنان من الأحزان ....تعالى معى إلى البيت فمن المؤكد أن هناك أمر جلل.

رد عليه زياد : لا داعى أن نذهب إلى بيتك بل أرى أنه من الأفضل أن نتحدث فى محل المحمول الخاص بك....

وما هى إلا لحظات حتى وصلا إلى محل الصيانة الخاص بصديقه ياسر والذى بادره قائلاً : قبل أن تتحدث فى أى شيء سوف أصنع لك كوبًا من الشاى !!!

صمت زياد ولم يعقب فقام ياسر ليصنع الشاي، بينما جلس زياد صامتًا مهمومًا حزينًا ...من القاسي جدًا أن تحمل فى

نفسك ما لا تستطيع البوح به أو أن تحكيه.

ـ تفضل أيها الأخ الحبيب ألذ كوب من الشاى لأغلى وأعز الأصدقاء.

كم كان يتمنى في قرارة نفسة أن يحكى وأن يبوح لياسر بما فى نفسه، لكنه لم يستطع أن يتكلم لدرجة أنه حتى لم يشكر ياسر على كوب الشاى.

ياسر: والآن يا أبا طارق ما الخطب الذى يجعلك مهمومًا وحزينًا إلى هذا الحد. .....

زياد: لا تشغل بالك يا صديقي ولا تُحمل نفسك هموم فوق طاقتك.!!

ياسر : إذا المرء لم يشغله أمر صديقه فبمن ينشغل؟؟؟

هيا أخبرنى ما هذا الخطب الذى أضاع ضحكتك الجميلة ؟؟

زياد: إنها بعض المشاكل التى لا تخلوا منها البيوت هذه الايام !!!

ياسر :هل هناك مشاكل بينك وبين زوجتك ؟ كل المشاكل يمكن حلها بالمناقشة والحوار!

هتف زياد بينه وبين نفسه : إلا هذه المشكلة يا صديقي ...كم أتمنى أن أقص عليك كل التفاصيل ....اااه يا إلهي ياله من عذاب مؤلم هذا الذى أحياه.

ياسر : مالى أراك صامتا هل الأمر خطير إلى هذا الحد؟ مهما كان الأمر صعبًا فبإمكانك تطليقها.

طالما أنه لن يستطيع أن يحكى قرَّر زياد أن يغير مسار الحديث.

زياد : قريبًا سوف أخبرك بكل التفاصيل والآن أخبرنى عن أحدث ما وصلك من الهواتف.

أدرك ياسر أن فى الأمر ثمة شيء محرج أو غير مريح فلم يشأ أن يضغط على صديقه أكثر من هذا، ولكنه قرَّر بينه وبين نفسه أن يبعده عن تلك الهموم التى يحملها قدر المستطاع فأدار دفة الحديث بشيء من المودة واللطف والكثير من المرح والطرائف ...

ما أسرع مرور الوقت مع من نحب .. ..مضت تلك

اللحظات التى قضاها مع صديقه ياسر سريعًا ومع حلول المساء عاد إلى بيته وماإن دخل حتى أسرعت شهد إلى المطبخ فى صمت لتعد له طعام العشاء ثم وضعته أمامه فى صمت فتناول الطعام بلا كلمة واحدة وكذلك مشروبه المفضل ثم توجه إلى حاسوبه علّه يجد ما ينسيه أو يسليه وليته ما فعل ..

فقط مزيد من الأخبار السيئة واللجان الاليكترونية التابعة للإخوان تلك التى تبث الكثير من الشائعات والفزع ...

مملة هى تلك الحياة التى لا تمنحك سوى خيارات محددة ضئيلة فما بعد الحاسوب والتلفاز سوى الفراش ..ما أصعب أن تنام بجوار زوجة أنت لا تثق فيها بينه وبين نفسه قرر زياد ألا ينام هذه الليلة عله يظفر بهذا الحقير .آلاف الأسئلة تدق فى رأسه كالمطارق ..ترى من هو هذا الحقير ؟ أهو من جيرانه؟ أهو من في أقاربه ؟ ومتى كان يأتى إليها ترى أفى وقت ذهابه إلى العمل أم فى وقت نومه ؟؟ أبدًا هو لن يقتلها ولماذا يضيع مستقبله من أجل امرأة بغي أمثل الحلول هو طلاقها ولكن عليه أولاً أن يلزم الحذر حتى يتمكن من تدبير مبلغ القائمة ...

راودته نفسه أن ينام بعيدًا عن فراشه حتى لا يغالبه ضعفه

حينما نام فى حجرة أمه وعلى فراشها شعر بحالة من الوحشة والرهبة ولم يجد بُدًا من العودة إلى حجرتة وهناك وجد ما كان يهرب منه ويخشاه ...شهد فى ثوب نوم أسود شفاف مثير وقد نامت على جانبها وقد شكل قدماها مثلث أخطر من مثلث برمودا حيث ظهرت تلك المناطق الساخنة المثيرة يا إلهي إنها فتنة مجسَّمة مجسدة ماثلة أمام عينية ..

حاول مرارًا أن ينام بعيدًا عن فراشه لكنه لم يستطع .ياله من اختبار عسير ..كم تمنى لو أنه بلا شهوة فيصبح كالملائكة بعيدًا عن أسر الشهوة وقيودها ...

شيء واحد قتل الشهوة والرغبة بداخله ..حينما تخيلها فى أحضان غيره ولكن كيف ومتى هذا ؟؟؟ ترى هل عليه أن يبقى بقية حياته يقظا بلا نوم وبلا عمل ليراقبها ؟؟؟ لا شك أن هذا جنون ودرب من دروب المحال فالمرأة حينما تقرر الخيانة حتمًا ستفعل حتى لو حبستها فى قمقم ولا تستطيع كل جيوش العالم أن تحرس امرأة وتحبسها عن رغبتها وشهوتها ..من المؤلم حقا ذلك الشعور بالعجز الذى حاصره فما أصعب حال الرجال فى هذا الزمان ...

غضبها قضايا ومحاكم أسرة ومتاعب لا تنتهى ...وضبط واحضار ..وتركها للمنزل تشريد وضياع فى كل شيء فى النظافة والخدمة وكل شيء ووجودها جحيم من الظنون والشكوك والرغبات .

ـ ياله من جحيم لا يطاق.

بعد فترة من الحيرة والتردد والتيه ارتمى على حافة الفراش محاولاً البُعد عنها، ولكنه ذلك الصهد وذاك الدفء المنبعث من جسدها ...يالها من ليلة !!! بصورة تبدو عفوية صوّبت فخذها البض الدافيء نحوه ...ذاك الدفء وذاك الملمس الناعم وتلك الأنفاس الحارة المنبعثة من خلفة ... كادت قواه أن تخور وأن يستسلم لجسدها الدافيء المثير إلا أنه حينما تذكر شكوكه وظنونه دفعها للخلف ووضع الوسادة فوق رأسه وذهب فى سبات عميق .

شعر بالآف المطارق تهشم رأسه المتخم بالأحزان والظنون والشكوك حينما دق ذلك المنبه فى تمام الساعة السادسة ... كل ما فيه كان محطم ؛نفسه وروحه وقلبه ورأسه ووجدانه ...يالها من حياة قاسية وسخفية ..قبل أن يتحرك من الفراش وصل

إلى مسامعه صوت بكاء ونحيب من خارج الحجرة ...

إنها شهد فى صالة الشقة.

ـ يالها من بداية سعيدة لهذا اليوم المشرق !!!!!

نطقها زياد ساخر متهكمًا فنظرت إليه شهد من بين دموعها قائلة : أقسم لك أنى بريئة ولم أخنك .وما الذى يدعونى لهذا وانت مفعم بالفحولة والرجولة ؟ وأن لم أخف عليك وعلى سمعتك و شرفك فعلى من أخاف ؟ وماذا عن أهلى ؟ أمى وأبي وأخى وأختى ؟ لست أدرى كيف طاوعتك نفسك أن تظن بي مثل هذه الظنون ؟؟

لم يدر لما قفز إلى ذهنة الأستاذ جميل ذلك الخلوق الطيب وزوجته تلك التى كان الجميع يرونها مثالاً للعفة .

ـ أقسم لك أنى بريئة.

أعاده ذلك القسم الذى أطلقته شهد إلى أرض الواقع فنظر إليها قائلاً: هذا ليس وقتًا مناسبًا للحساب والحديث. يجب على أن أرتدى ثيابى وإن أذهب إلى المدرسة.

ـ ألن تغتسل وتغير ملابسك ثم تتناول إفطارك ؟

نطقتها شهد ثم قامت وتوجهت إلى المطبخ قائلة :لحظات وأعد لك الإفطار وكوب من الشاى.

نقطة ضعف جديدة هى تلك التى ضغطت عليها شهد من جديد وهى حاجته إلى من يخدمه ؛ هو حتى لا يعرف كيف يعد كوب من الشاي؛ لذا فقد توجه فى صمت إلى الحمام وبعدها تناول طعامه وخرج إلى عمله...

تجمعات الناس فى الشوارع لم تلفت انتباهه كثيرًا فقد عقله مشوش ومشغول بتلك المأساه التى يعيشها فما أصعب أن تخرج من بيتك وأنت لا تشعر بالأمان ...

فكم من مرة عاد على غير موعد إلى منزله عله يحظى بما يريد .الآن هو فقط يرتب أوراقه لطلاقها ليضع حد لهذا الأرق وتلك المأساة .

حينما وصل إلى المدرسة وجد الحاج ممتاز وجميع العاملين بالمدرسة يجلسون فى مكتب الحاج ممتاز وعلى وجوههم يبدو القلق والتوتر ....ترى أى أخبار حزينة تنتظره بعد رحيل

الطيب جميل.

ـ يالها من أيام عصيبة نعيشها جميعا هذه الايام .

نطقها الحاج ممتاز فى حزن وأسي . هز علام رأسه موافقا ثم قال : لقد قرروا عزل مرسي لأنهم يكرهون الإسلام والإسلاميين.

طنطاوى: لا تنسي يا شيخ علام أن مرسي لم يحقق وعدًا واحدًا قطعه على نفسه، ولم يحقق أى من تلك التى وعد بها الشعب .

علام : مرسى لم يكن بيده شيء. لقد كانت مؤامرة محكمة ضده .

نظر إليه حماد هازئًا ثم قال : رئيس جمهورية ليس بيده شيء ؟ بيد من إذن ؟ أليس لديه ما يكفى من الذكاء لكشف ما حوله من الدسائس والمكائد ؟إن لم يكن لديه قدرًا كافيًا من الذكاء ليدرك هذا فهو ليس جدير بحكم مصر .

نظر إليه علام شذرًا وهو يقول : ليس بأمانيكم ولا بأحلامكم نحن لن نتركها لكم أيها العلمانيون ...مصر إسلامية

وستظل إسلامية وسوف يعود مرسي رئيسًا لمصر رغم أنوفكم أيها العلمانيون الفسقه.

نظر إليه طنطاوى فى ضجر قائلاً : دعك من هذه الشعارات الرنانة فمصر لجميع المصريين مسيحيين ومسلمين، هذه الشعارات سوف تحدث صدعًا وشرخًا ومزيدًا من الفوضى والخراب.

الحاج ممتاز : لا فض فوك ومات حاسدوك يا طنطاوى... أحسنت يا بنى.

ازداد غضب علام فنظر إلى الحاج ممتاز قائلاً : ولما لا يعجبك قوله وانت من فلول الحزب البائد .

وهنا تدخل زياد فى حدة قائلاً : هذا الحزب الذى وصفته بالبائد كنت تقبل يد أمينه لكى لا تنقلك الإدارة خارج القرية ...هذا الحزب البائد لطالما جلست فى مجلس عضوه بالساعات تلتمس الرضا والسماح .

زاغت عينا علام واحمرتا حينما أوجعته كلمات زياد ولكنه تمالك أعصابه قائلاً : الضرورات تبيح المحظورات يا ابن

الصاوى ...لقد كنت مضطرًا والله سبحانه وتعالى يقول "فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم " صدق الله العظيم.

الحاج ممتاز : لا توظف الآيات لأغراضك ومصالحك الشخصية يا شيخ علام.

زياد ساخرًا: وما الجديد فى هذا ؟؟؟ هذا دأبهم وهذه عادتهم فى توظيف آيات القران لمآربهم وأغراضهم الشخصية..

علام :لن نتركها لكم يا أعداء الدين حتى لو قاتلناكم بأسنانا وأظافرنا ..

نظر إليه زياد فى دهشة قائلاً : أعداء الدين ؟ قاتلناكم؟ ما هذا الهراء الذى تقوله ؟ أنتم حتمًا ستشعلون فتنة ونيران ستحرق الكثير من الأبرياء ؟

وهنا تدخل الحاج ممتاز قائلاً:كفى حديثًا فى السياسة يا سادة، هنا مكان للعمل وليس مكانًا للمشاحانات والشجار .

نظر اليهم علام فى غيظ قائلاً :حسنًا أيها العلمانيون لن نتركها لكم وسترون ...

قالها ثم انصرف غاضبا وصفع باب المكتب خلفه فى قوة.

تعلقت به عيونهم وهو يغادر ثم نظر الحاج ممتاز إلى زياد قائلاً : ياله من مسكين ؟

زياد: هو ليس مسكين بل جشع لا يسعى سوى لمصالحه الشخصية فقط هو يعتقد أن الإخوان باقون فى السلطة لذلك هو يريد أن يثبت ولائه وتضحيته للحزب ورجاله .

الحاج ممتاز : أخشى ما أخشاه أن يخدعوا البسطاء من أجل مصالحهم.

زياد : أسأل الله أن يحفظ مصر من كل سوء.

بعد انتهاء العمل عاد زياد إلى منزله وفى الطريق لفت انتباهه بشدة تلك التجمعات والتى يحركها ويقودها شباب الإخوان وبعض الطيبين ممن خدعهم الإخوان.

ـ ألن تذهب معنا إلى رابعة ؟

انتزعته تلك الجملة من شروده فنظر إلى قائلها فى دهشةأنه الأستاذ عامر مدرس العلوم ذلك الطيب الخلوق حقاً ..يا

إلهي كيف خدع الإخوان مثل هذا المتعلم ؛ ربما قد استغلوا طيبته وخدعوه باسم الدين

ـ أقول لك ألن تذهب معنا إلى رابعة ؟

كرر عامر سؤاله على مسامع زياد الصاوى والذى أدهشه السؤال فتسأل فى حيرة : وما رابعة هذه ؟ ولماذا أذهب إليها ؟

فتبسم الأستاذ عامر قائلاً: ميدان رابعة العدوية فى القاهرة .لقد قررت قيادة الحزب الاعتصام فى ميدانى رابعة والنهضة ولن نغادر حتى يعود رئيسنا المعزول.

زياد: رئيسكم المعزول ؟ أليس من حق أحد غيركم أن يختار رئيسه ؟

عامر : لقد اخترناه وولیناه الإمارة علينا فنحن المؤمنون وهو أميرنا.

زياد فى دهشة : وليتموه الإمارة ؟ دعنا من هذه الكلمات الرنانة ودعنا نسأل ما هى جدوى الاعتصام وتعطيل مصالح الناس.

عامر : أنه جهاد فى سبيل الله.

اتسعت عينا زياد فى دهشة حينما سمع هذا الرد وسكت لحظات وهو يتفرس فى وجه عامر فى ذهول مما دفع هذا الأخير أن يهتف:مالى أراك تتفرس فى وجهى هكذا ؟ هل هناك شيء غريب فى وجهى ؟

زياد:بل فى عقلك وكلامك ... أى جهاد هذا الذى تتحدث عنه يا أستاذ عامر ؟ هل ترى أحدا يعبد الأصنام والأوثان ؟حتى وإن كان هناك من يعبد الأوثان فنحن فى دولة مدنية، والله سبحانه وتعالى يقول :"لكم دينكم ولى دين ".

عامر: هكذا يريدها الغرب وأعداء الإسلام دولة مدنية علمانية لا دين لها ونحن نريدها إسلامية .

أى جنون هذا الذى يقوله عامر أن ما يقوله عامر حتمًا سيقود إلى حالة من الإرهاب والفزع.

زياد: بهذا أنتم ستقودون الناس إلى الهاوية والهلاك.

عامر بثقة : بل سنقودهم إلى الشهادة وإلى الجنة.

أدرك زياد أنه لا جدوى من الحديث مع عامر فنظر إليه فى لا مبالاة وانصرف فهز الأخير كتفيه وعاد لحشد المزيد من البسطاء للزج بهم إلى الهلاك

عامر : انها حرب على الاسلام وعلينا جميعا أن نجاهد من أجل الدين. وإنى لأظن أن الذهاب إلى رابعة يعادل عمرة لبيت الله.

وبعيدًا عن عامر عاد زياد إلى بيته ..ما أصعب تلك الحالة أنها حالة اللا حرب واللاسلم.

ـ يالها من علاقة كلبية تلك التى أعيشها.

دارت هذه الجملة فى عقل زياد فتذكر هذا المنهج الفلسفى التشاؤمى الملىء بالحزن والتشاؤم والاستسلام لدرجة أن أحد أتباع هذا المنهج كان يعيش على أردئ أنواع الطعام والشراب وينام فى أحد الأحواض هى حقا علاقة كلبية تلك التى تربطه بزوجته فهو فى حاجة إلى خدمتها ورعايتها للمنزل ومع ذلك يشك فيها ويكرهها.

ـ هل أحضر لك طعام الغداء ؟.

نطقتها شهد فى وجوم وحزن مغلّفة بكل ما فى الكون من كآبة دون أن ينظر اليها أجاب زياد : كلا فأنا فى أمس الحاجة للنوم..... دعيني أنام.

نطقها زياد ثم دلف إلى حجرة النوم ولم يشعر بنفسه..

لم يدر كم من الوقت مر بالضبط وهو نائم إلا أنه حينما استيقظ استشعر رائحة المساء...نسمات ليالى الصيف القادمة من النافذة القريبة والتى داعبت جسده الخائر المنهك جعلته ينهض من فراشه ثم يتوجه ليغتسل حتى يفيق من آثار النوم ..... بعد أن انتهى من الاستحمام وجد شهد قد أعدت له طعامًا شهيًّا تناوله فى صمت، ثم حاول أن يستطلع شيئًا من أخبار العالم ...

يا إلهي إنها نفس القناة القطرية الشهيرة ...ما زالت تنقل الأخبار بنفس طريقتها الموجهة ....حشود من الإسلاميين فى كل ميادين مصر . هكذا كتبت على شاشتها ....وماذا عن الآخرين ممن لم يؤيدوا الإخوان هل خرجوا من الإسلام ؟؟؟ ياله من بوق يدعوا إلى الفتنة والتقاتل ...لم يجد بدًا من مغادرة هذه القناة والبحث عن قناة أخرى نزيهة عادلة .... هو لا

يشعر بالقلق على مصر طالما أن مقاليد السلطة أصبحت فى يد الجيش، ولكنه يخاف على تلك القرية النائية المتطرفة فى كل شيء . لذا فقد أطفأ التلفاز وقرر أن يبحث عن جديد على صفحات التواصل الاجتماعى ..لم يهتم كثيرًا بتلك الرسائل المزعجة وما فيها الشتائم والسباب والتى اعتاد شباب الإخوان قذفه بها ... ظل يتابع فى صمت وخوف فقد أذهله وأقلقه ما شاهده على تلك المواقع ...إن كانت تلك القناة القطرية تبث رسائل موجهه فعلى الفيس والمواقع الأخرى كانت هناك دعوات صريحة ومباشرة للاقتتال والتناحر ...دعوة مباشرة لحشد الحشود فى رابعة واعتباره جهاد فى سبيل الله ... شعر بحالة من صفاء الذهن ولِمَ لا وقد حصل جسده على ما يكفيه من النوم نظر إلى الساعة الموجودة فى أسفل الشاشة. إنها الساعة الواحدة صباحًا ؟ ليس من اللائق أن يخرج من بيته لزيارة أحد فى هذا الوقت من الليل ....ترى ماذا يفعل ؟؟ قرَّر أن يطفيء الحاسوب وأن يذهب إلى فراشه علّه يحظى بقليل من النوم .

فى الفراش كانت شهد تستلقى على بطنها وقد ارتدت ثوب نوم أسود شفاف مثير غاية فى الإثارة وقد انحسر عن فخذيها البيضاوان ..شعرها الأسود الفاحم المبعثر فوق الوسادة زادها

فتنة وإثارة ..تأملها زياد لحظات فبدأت ترفع قدميها وتضرب بهما الفراش وكأنما فى نفاذ صبر وكأنها لم تعد تستطيع ...

لم يعد هذا السلاح ناجعًا مفيدًا كما كان من قبل؛ لذا فقد ألقى زياد بجسده على الفراش وقد أولاها ظهره ....لحظات من الترقب المشوب بالتوجس والقلق ..هو قلق أن تقترب منه شهد بجسدها .. يخشى أن يضعف أمام أنفاسها الحارة وأمام جسدها المفعم بالشهوة والغريزة ...هو فى قرارة نفسه يذوب فى هذه اللحظات وحينما لا ترتوى هذه الغريزة تنتابه حالة غريبة من التوتر والاضطراب، هل هو ذلك الماء المهين والذى حينما يتراكم فى أجسادنا يصبح أشبه بالسموم فيتحول المرء منا إلى حاله أشبه بالعقارب يحتاج إلى أى فريسة يحقن فيها تلك السوائل الساخنة...

ذلك الدفء المنبعث من جسدها وأنفاسها الحارة من خلفه أثار فى نفسه حالة عجيبة هى مزيج من الرغبة والشبق ...حينما لامس صدرها ظهره والتفت يدها حوله من الخلف تهاوت كل قلاع المقاومة لديه ؛ لم يدر كيف استدار ليجد نفسه فى مواجهة شفتيها... حاول أن يبتعد لكنه لم يستطع ...لحظات من الالتحام أشبه بتلك التى نراها فى حلبات المصارعة دهسا

فيه كل أرجاء الفراش ... لحظات لم يدر أطالت أم قصرت ثم أفرغ ما فيه، ثم ساد الصمت حيث التصقت الوجنات ثم انقلب زياد على ظهره فى صمت ...رغم أنها ما زالت زوجته على ذمته إلا أنه شعر بالندم .... كلنا نضعف أمام هذه اللحظات .....لم يدر كيف داهمه النوم بهذه السرعة إلا انه أفاق حينما دق جهاز التنبيه طقوس يومية متكررة هى تلك التى عاشها إلا أنه حينما خرج إلى الشارع لفت انتباهه مشهد غير مألوف .... عدد من سيارات الميكروباص تبدأ من منزله وتنتهى عند بداية الطريق المؤدى إلى القاهرة عبر الصحراء الغربية .. وإلى جوار السيارات يوجد عدد من الملتحين.

ـ حي على الجهاد ...حى على الجهاد هيا إلى رابعة أيها المجاهدون.

نطقها أنور بصوت مرتفع وهو يحشد الناس إلى سيارات الميكروباص فنظر إليه زياد قائلاً : ترى هل احتل اليهود ميدان رابعة، أم عاد الإنجليز لاحتلال مصر وتمركزوا فى ميدان رابعة ؟

نظر إليه أنور وبعض الملتحين شذرًا فأشار إليهم أنور فتوقفوا ثم قال لزياد : لا وقت لدينا للرد على أمثالك من

الفلول والعلمانين فنحن نحشد الناس للجهاد فى سبيل الله.

انصرف زياد حتى لا يشتبك معهم فى عراك أبدًا لن يكون لصالحه وعلى امتداد الطريق إلى المدرسة حشود وتجمعات ودعاه بينه نفسه كان يراهم دعاة للهلاك وهناك داخل المدرسة وجد علام ينعق ويعلو صوته وكأنه يخطب الجمعة.

علام : لا شك عندى أنها حرب على الإسلام يقودها الفلول والعلمانيون والنصارى ونحن لن نقف مكتوفى الأيدى سوف نجاهد ونقاتل من أجل نصرة الحق والإسلام.

وهنا تدخل الحاج ممتاز غاضبًا : كفى يا سيد علام فهذا مكان للعمل وليس مكاناً لإثارة الفتن والمشاكل .

علام : وهل تسمي نصرة الإسلام فتنة ومشاكل ...آه لقد نسيت فأنت من فلول الحزب البائد وابن الصاوى علمانى لا ملة له.

صمت زياد ولم يرد عليه فالوقت عصيب وأى رد قد يترتب عليه تصعيد واشتباك لا يعلم عواقبه إلا الله وبلا رد أو كلمة واحدة غادر زياد مكتب المدير ليجلس فى حجرة المدرسين

وعقله و كيانه كله مشغول بزوجته شهد ترى ماذا تفعل هى الآن ؟؟

لا شك أنها تستغل وقته فى العمل ونومه الثقيل ليلا فى ارتكاب تلك القذارة ...شعور رهيب ومخيف أن يفقد الزوج الثقة فى زوجته وبينما هو فى أفكاره السوداء تناهى إلى سمعه مكبرات الصوت وهى تنادى حى على الجهاد ...إلى رابعة ...نهض من مكانه لينظر من نافذة الحجرة حيث رأى حشودًا تتوجه إلى سيارات الميكروباص فى طريقها إلى رابعة ....ترى من الذى دفع تكاليف هذه الرحلة الشاقة ...من الصعب أن يدفع هؤلاء القرويين البسطاء تكاليف هذه الرحلة والتى تقارب أربع مائة كيلو متر من هذه القرية إلى القاهرة ـ وخصوصًا فى هذه القرية التجارية والتى تعرف قيمة الجنيه جيدًا – هذا العدد الكبير من سيارات الميكروباص لا يمكن لهؤلاء أن يدفعوا تكاليفه الباهظة لابد أن هناك جهة ما ثرية قادرة على تحمل هذه النفقات ....لم يجد بُدًا من البقاء فى المدرسة؛ لذا فقد قرر العودة إلى المنزل ....صعبة ومؤلمة هى تلك الحياة التى يعيشها زياد فلم يعد يشعر بالراحة فى أى مكان لا فى المنزل ولا فى العمل فى ظل وجود شهد فى حياته ..المفروض أن الزواج

سكن ومودة ورحمة ولكن جل نساء هذا الزمن حولنه عكس ذلك ....وعلى امتداد طريق العودة كل المشاهد لا تبشر بالخير وخصوصًا هذا التجمع الخطير والذى يحمل معظم أفراده السلاح ومعظمهم من الملثمين.

ـ كلا لن أسمح لكم أن تمسوا هذه الكنيسة.

نطقها الحاج جبر فى غلظة مهددًا تلك الجموع فنظر إليه أحد الملثمين قائلا:هؤلاء هم سبب البلاء الذى نحن فيه.

الحاج جبر : هذه الكنيسة بين ديارنا إذا أردتم اقتحامها فلتهدموا ديارنا أولاً .

نظر إليه أحد الملثمين في غضب قائلاً :

هؤلاء كفار وأموالهم غنيمة لنا ...

الحاج جبر : هؤلاء منا وجيراننا وأوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحد الملثمين مهددًا متوعدًا : حسنًا يا حج جبر سنرحل هذه المرة ولكننا سنعود فى المرة القادمة ولن نغادر إلا بعد أن نهدما

على رؤوس من فيها.

قالها وانصرف وتبعه جميع من معه بينما تابع زياد انصرافهم والحاج جبر يحوقل ويدعو الله أن ينتقم من هؤلاء الظلمة ...يالها من أيام عصيبة تلك التى تمر بها مصر .. وقبل أن يصل إلى منزله فاجأه تجمع آخر حيث أحد أعضاء الجماعة يحشد لمسيرة فى شوارع القرية دعا إليها النساء ...يالها من مهزلة !! بينه وبين نفسه تساءل زياد ما جدوى تلك المسيرات فى القرى ؟؟ لا طائل من ورائها سوى إضاعة مزيد من الوقت وإهدار طاقات الناس فيما لا يفيد ...يا إلهي ما الذى يفعله هؤلاء الشياطين بهؤلاء القرويين البسطاء .؟؟ إنهم يدفعونهم دفعًا إلى التهلكة..

حالة من البؤس والشقاء هى تلك التى ألمت به حينما دلف إلى منزله .....دون أن ينطق بكلمة واحدة خلع ملابسه واغتسل ثم أحضرت له شهد طعام الغداء دون أن يتبادلا كلمة واحدة ....كم هى صعبة هى تلك الحياة الصامتة الحزينة ..... تكاد تكون أيام البعض منا متشابهة تمامًا وهذا بالضبط هو حال زياد الصاوى ...إلا أن هذا المساء حمل شيئًا مختلفا لزياد الصاوى فحينما استيقظ وجد شهد على سجادة الصلاة وأمامها

مصحف ...لم يتحرك من فراشه حتى انتهت من صلاتها وبعد أن انتهت من صلاتها وضعت يدها على المصحف قائلة : أقسم بالله وبكتاب الله وآيات الله أنى لم أخنك وأنى أحبك ولو لم أكن أحبك لكنت غادرت المنزل وأخذت معى زياد ولطلبت الطلاق ...ولكنى أحبك.

فاجأته شهد بما فعلت فسكت لحظات يقلب الأمر فى نفسه... حديثها يحمل شيئًا من المنطق والعقلانية وهو لم يرَ شيئًا بعينيه والحديث بمثل هذه الظنون يُعدُّ قذفاً وافتراءً بغير دليل هى بإمكانها أن تطلب الطلاق وسوف تتزوج من غيره؛هذا الموقف جعله يهدأ قليلا ويبدأ فى مراجعة نفسه ....هو غير مقتنع ببراءتها ولكن عليه أن يصبر وينتظر على كل حال....

ما زالت نفسه مشحونة بأحداث النهار العصيبة لذا قرَّر أن يبحث وبنهم عن تداعيات الموقف ومستجدات الأحداث وهناك على شاشة تلك القناة القطرية هاله وأفزعه ما رأى لقد خصصت القناة قناة جديدة خصيصًا للشأن المصرى لتبث مزيدًا من السموم وتحث على المزيد من الفوضى...

ترى ما الذى يدفع مثل هذه القنوات أن تفعل هذا ؟؟؟

وعلى شاشة القناة رأى عجبًا .القناة تبث صورًا للمعتصمين وقد نصبوا مسرحًا تُعرض عليه فقرات ترفيهية وحالات زواج وربما حالات ولادة ...من يدرى ربما يعرضون علينا حالة من حالات الختان ....

مكبرات صوت مرتفعة تصم الأذان ...ترى ما هو حال سكان المنطقة مع هذه الضوضاء وهذا الصخب ؟؟؟؟ وما هذا العبث وهذا العته الذى يقترفه الإخوان فى حق هذا الوطن ؟؟ وبينما هو يتابع تلك الأخبار مزق سكون الليل من حولة صوت طلقات متوالية سريعة...

يالها من نكبة مزقت جسد الوطن المتخم بالأحمال والأوجاع .....

ـ لا بأس من تصفح الفيس بوك قليلا .

الوضع على صفحات الفيس لم يختلف الوضع كثيرًا ...بعض مؤيدى الإخوان يزعم أنه قد رأى الملائكة وآخر يزعم أنه رأى رؤيا تبشر بالنصر ....نصر ؟؟ هل نحن فى ساحة حرب ؟؟؟؟ وبينما هو كذلك سمع صرخة قادمة من حجرة النوم فهرع إلى حيث قد غطت وجهها بذراعها وأخذت

تصرخ

ـ ما بك يا شهد ؟؟؟؟؟؟؟

نطقها زياد فى مزيج من اللهفة والخوف فردت عليه شهد :أشعر بألم رهيب فى قدمى فقد زلت قدمى فى المطبخ فى بداية الليل وسقطت عليها، ولكن لم أشأ أن أقلقك والآن أشعر بالألم يتزايد ....اااااه يا قدمى.

زياد : حسنا سوف أحضر بعض الأربطة والكريمات.

قالها ثم ذهب وأحضر بعض الأربطة وعاد فنظرت إليه فى استعطاف قائلة :أرجوك أن تدلك لى قدمى قبل أن تضع الكريمات والأربطة.

زياد: حسنًا.

ماإن قالتها حتى شرع فى تدليك قدمها وما أن لامست يداه سمانة القدم حتى شعر بدفء جسدها ..حالة من الدفء والنشوة فبدأت هى بالتأوه الناعم المثير واستمر هو فى التدليك مستمرًا مستمتعًا بينما تصاعدت أهاتها وبدأت تتلوى فى الفراش فاستمر هو فى التدليك واتخذت يده منحا صاعدًا

حتى وصلت إلى مناطق بعيدة حينما شعر بدفء أناملها تعبث فى شعره الناعم أدرك ذلك الكمين المحكم والذى لم يستطع أن يفلت من شراكه.

ـ حبيبي اشتقت إليك كثيرًا ...كم أحبك أيها القاسي.

كلماتها الدافئة الهامسة فى أذنيه نقلته إلى عالم آخر ....يصعب على الكلمات أن تنقل هذه المشاعر واللحظات ما لم يتذوقها المرء بنفسه ... ماإن انتهت الجولة وفرغ من جهاده المقدس ـ كما يسميه هو وطنطاوى – حتى ارتمى فى فراشه فى سكون ولذه ...

ـ أماآن لك أن تذهب إلى رابعة وتتذوق حلاوة الجهاد ؟

نطقها أنور وعلى وجهه علامات الرضا والسرور فتذكر صديقه المرح طنطاوى فنظر إلى أنور وعلى شفتيه شبح ابتسامة:أنا رجل وحيد كما تعلم ولا أستطيع أن أترك زوجتى وطفلى بمفردهما فى المنزل .أليس كذلك يا شيخ أنور؟

أنور :بإمكانك أن ترسلهم إلى بيت الحاج مجاهد صهرك ..هل تعلم أنى ظللت فى رابعة ثلاثةأسابيع ولولا حلول عيد الأضحى لبقيت فى رابعة.

زياد ضاحكا: ومن قال لك أنى لا أجاهد أنا أجاهد هنا بطريقتى .

لم يفهم أنور مغزى زياد فتركه وعاد إلى حشد الناس من جديد .. كم هى رتيبة و مملة حياة القرى؛مر عيد الأضحى وانقضت ساعاته بلا جديد يذكر ؛ فلا حديقة يمكن للمرء أن يذهب إليها ولا دارًا للسينما ولا ملاهى ولا جديد على الإطلاق ...نفس الوجوه؛نفس الطرقات حتى صديقه ياسر لم يراه وابن عمه ربيع لم يقم بزيارته ياله من عيد !!!!

ـ أما آن لك أن تتذوق حلاوة الجهاد فى رابعة؟

نطقها الشيخ حافظ بابتسامة حانية ودود ...بينه وبين نفسه ما زال يتساءل كيف خدع الإخوان هؤلاء الطيبين ولا شك لديه أنهم يقودون البلد إلى الدمار والخراب حينما طال صمته ولم يرد كرَّر الشيخ حافظ سؤاله مجددًا

حافظ : كنت أتساءل أماآن الأوان لتتذوق حلاوة الجهاد فى رابعة ؟

ياالها من أسطونة مشروخة ورتيبة ومملة فقد استمع إلى هذا

السؤال مئات المرات ولم يجد جديد ليقوله فهو يعلم جيدًا أنه لا جدوى من الحديث مع هؤلاء ..هز رأسه قائلاً : ربما يحدث هذا قريبًا يا شيخ حافظ.

تأمل سيارات الميكروباص وهى تحشد البسطاء والمخدوعين إلى القاهرة تحت مسميات كثيرة الجهاد ؛استعادة الشرعية...

شعر بالحزن على هؤلاء ولكنه عاد إلى بيته فى صمت ليمر الوقت بطريقة مختلفة شيء ما فى نفسه جعله يشعر أن الليلة مختلفة تمامًا عن الليالى السابقة إنها ليلة الرابع عشر من أغسطس عام ٢٠١٣ تبدو ليلة غريبة ..على صفحات مواقع التواصل هناك لهجة غريبة بدت من أفواه مؤيدى الإخوان .....تحذيرات تنبيهات استعدادات .....أو على الأحرى قل استنفار ....لم يعجبه الأمر كثيرًا لذا قرَّر أن ينام مبكرًا على غير عادته تاركًا الأمر لله عز وجل.

الفصل الرابــع
النهايـــة

في ساعة مبكرة من صباح الأربعاء الموافق الرابع عشر من أغسطس لعام ٢٠١٣ دق هاتف زياد المحمول بلا وعى وبحروف اختلطت اليقظة فيها بلذة النوم رد زياد : من معى ؟

فرد عليه ربيع ابن عمه على الطرف الآخر للهاتف : استيقظ فالشرطة والجيش يقومان بفض اعتصامى رابعة والنهضة ومن المحتمل أن تحدث ثورة عارمة فى القرية...

انتبه لنفسك يا ابن العم.

قالها ربيع ولم يعقب وأغلق هاتفه المحمول ولم يمنح زياد الفرصة أن يسأله سؤلاًآخر... استيقظت شهد على صوت رنين الهاتف.. وتساءلت : هل أحد من العائلة أصابه مكروه؟ فرد عليها زياد كلا ولكن الأمر أخطر من ذلك بكثير.

هب من فراشة مسرعًا ليحضر سلاحه النارى المرخص وحينما رأته شهد هتفت فى ذعر : ما الخطب ماالذى حدث ؟ ولماذا أحضرت سلاحك النارى ؟

زياد : الشرطة والجيش يقومان الآن بفض اعتصام رابعة ومن المتوقع أن تحدث فوضى عظيمة هنا فى هذه القرية ...أسأل الله أن يحفظ مصر وأن يحفظنا من كل شر. حذار أن تفتحى النوافذ أو باب المنزل.

حينما خرج إلى الشارع رأى هولاً مرعبًا.....

ياله من يوم عصيب ...وجوه غاضبة... وهتافات فى كل مكان ومجموعات مسلحة ملثمة فى كل مكان ..وقطاع طرق ولصوص خرجوا من جحورهم فى وضح النهار ..

ـ هيا إلى الكنيسة البحرية.

لا أحد يستطيع الوقوف فى وجه طوفان الخراب القادم فلو أن أحدًااعترض على ما يحدث لتحول الأمر إلى حرب أهلية حرفيًّا ...

وهناك من بعيد كان المقدس لوندى قادم على حماره فابتدره

الحاج كيلانى قائلاً : حاول أن تلتزم بيتك لأن الوضع غير مريح هذا اليوم يا لوندى.

نظر إليه لوندى بثقة قائلاً : كل شيء بقضاء الله أيها الطيب كيلانى ..دع الحمول لله لا تخف.

كيلانى :أعلم ذلك ولكنى أخاف عليك وهذا اليوم ملىء بالتوتر والغضب.

لوندى : فليرعانا ويحفظنا الله.

قالها وانصرف تاركًا ذلك الطيب الوقور كيلانى فى توتره وخوفه فالحاج كيلانى شيخ وقور معروف عنه الحكمة والتواضع .....

وقف زياد من بعيد يراقب لوندى وهو يدخل إلى منزله وما هى إلا لحظات حتى ظهر بحبح ومعه مجموعة من الأشرار يحملون السلاح ويتوجهون به إلى بيت لوندى ويطرقون الباب فى غلظة وخشونة.

بحبح : افتح يا لوندى فأنا أريد أن أهذب شعر حواجبي.

نظر إليهم لوندى فى خوف قائلاً:ماذا تريدون؟

بحبح: نريدك أن تغادر المنزل ولن نؤذيك .

لوندى:أترك لكم منزلى ؟ لن أترك لكم بيتي إلا على جثتى ميتًا .

بحبح : يا لك من شجاع !! حسنًا أنت من أختار.

وماإن انتهى من عبارته حتى أشار لمن معه من الأشرار فبدأوا يدفعون الباب بأكتافهم وهنا نظر إليهم لوندى قائلاً : توقفوا

قالها ثم أطلق طلقة نارية من ذلك السلاح المسمى (فرد خرطوش) فى الهوا تهويشا وتخويفا ويا ليته ما فعل فقد صاح بحبح : إنها حرب على الإسلام ..النصارى بدأوا الحرب علينا.

لم يكد ينطقها حتى انفجرت الأرض عيونا بالبشر من كل حدب وصوب،أعداد غفيرة من البشر امتدت من مسجد زين العابدين وحتى مسجد عباد الرحمن، وحينما رأى لوندى ذلك المشهد أصابه الهلع وأطلق طلقة أخرى فى الهواء وهنا صاح أحد الملثمين:أتتركون هذا النصرانى القذر يفعل هذا بكم وأنتم تتفرجون ؟

لم يكد ينطقها حتى تحوَّل المكان إلى ساحة حرب ..

ـ يا إلهي من أين جاءت هذه الأسلحة وأين كانت ؟؟

نطقها زياد بينه وبين نفسه وهو يدخل بيته ويغلق الباب ويصعد إلى شقته ....ليجد طارق وأمه فى حالة من الهلع والرعب، نظرت إليه شهد قائلة :ما الذى يحدث فى الأسفل يا زياد ؟؟؟

زياد: إنها تلك الحرية التى أُصابت مجتمع مريض بداء الكبت وانعدام الأخلاق والجهل المُركب.

أصوات الطلقات القادمة من الخارج كان مريعة بكل معانى الكلمة؛ لذا فقد التصقت شهد وطارق بزياد فى هلع، وفجأة رن هاتفه المحمول إنها مكالمة من مستر حماد، وما أن رد زياد حتى جاءه صوت حماد مفعم بكل ما فى الكون من لهفة.

حماد : هل حقا أغار النصارى عليكم وقتلوا من المسلمين خمسة عشر.

زياد : من قال هذا ؟ إنها محاولة سطو على منزل المقدس لوندى فحاول الدفاع عن نفسه فتطور الأمر إلى قتال بالأسلحة

النارية .

حماد : و أين أنت الآن يا زياد؟

زياد : أنا فى بيتي؛ لأن زوجتى وصغيرى يشعران بالرعب .

حماد :إذن فأنت لم تشاهد ما جرى .

قالها ثم أغلق الهاتف فأثارت كلماته زياد ترى ما الذى حدث بعد أن دخل وأغلق الباب ترى هل تطور الأمر حقاً أم إنها الشائعات ... ...امتد هذا القتال الغير متكافىء قرابة الساعتين وبعدها توقف صوت إطلاق النار ... ترى ما الذى جرى بالأسفل ؟؟؟ عليه أن ينزل ليرى ما حدث ...نظر إلى زوجته قائلاً : حذار أن تفتحى باب المنزل أوالنوافذ حتى أعود .

كان يتوقع أن تعترض شهد على خروجه فى مثل هذا الوقت العصيب، ولكنها لم تفعل بل نظرت إليه قائلة : انتبه لنفسك يا زوجى الحبيب .

أمسك سلاحه النارى فى يده ونزل إلى الشارع .كأن القيامه قد قامت على هذه القرية العتيقة، أكوام من البشر تكدسوا فى

تلك البقعة بعضهم يهلل ويكبر الله أكبر، لقد مات لوندى وكأنهم قد فتحوا القدس .....

منظر بشع ينافى كل معانى الإنسانية والآدمية هو ذلك الذى رأه فقد شاهد البعض يجرون لوندى من قدميه وجسده مغطى بالدماء والبعض منهم يركله بقدمه والبعض الآخر يبصق عليه حتى وصلوا به إلى مشارف الصحراء الغربية حيث وجه أحدهم سلاحه الآلى إليه وأفرغ فيه خزينة كاملة من الطلقات ثم قام أحدهم بربطة فى جرار زراعى وألقاه بين شواهد القبور ..

توجه زياد إلى وسط القرية حيث الكنيسة القديمة وهناك رأى مأساة لا أخلاقية ولا آدمية ....الشيخ علام بنفسه يشارك فى السطو على منازل الأقباط ...

كل ما فى بيوت الأقباط أصبح هدفا للسلب والنهب حتى الأوعية بما فيها من لحوم وطبيخ ...أجولة القمح ...كل شيء بلا استثناء .... حتى أعراض القبطيات لم تسلم فقد اغتصب أحد هؤلاء المشاغبين إحدى القبطيات ...لقد سقطت ورقة التوت التى كانت تخفى عورة هذه القرية فظهر كل من فيها

على حقيقته ...هذه اللحظات هم لا يرون قانون أو سلطان فليتعامل كل منهم بما فى داخله ....اللص الذى كان يخشى القانون أصبح طليقا ينهب ما يشاء وذئب الأعراض وجدها فرصة سانحة ليفعل ما يشاء وليغتصب من يشاء ..وأهل الأخلاق وما أقلهم عددًا وقفوا عاجزين مكتوفى الأيدى لا حول لهم ولا قوة وكأننا فى أخر الزمان، وكأن هؤلاء هم شرار الخلق الذين ستقوم على أيديهم القيامة ...

أفزعته رائحة الحرائق المنتشرة فى كل مكان وهؤلاء الأقباط الذين تشردوا لمجرد أن رأيهم قد خالف آراء البعض ...لم يستطع مواصلة السير فى طرقات القرية؛ لذا قرِّر العودة إلى منزله وهو يحمل طبنجته فى يده ...حينما وصل إلى المنزل لاحظ أن منزله شبه مغلق فدفع الباب فى عجلة وقفز درجات السلم فى ثوان ليجد منظرًا مريعًا لا يقل فى بشاعته عما رآه فى الخارج ...إنها شهد عارية فى أحضان ابن عمه ربيع .

لم يتفوه بكلمه واحده وإنما ضغط بأصبعه على الزناد فخرجت عدة طلقات اخترقت رأس شهد وعشيقها ربيع ...دوّى الرصاص أفزع طارق فخرج من حجرته وبلا وعى عاجله زياد بطلقة فى رأسه ثم ولى هاربًا ولم يعقب ....

لم يدر كم استغرق من الوقت وهو يجرى إلا أنه وجد نفسه فى أخر القرية عند بيت خاله عبدالمحسن والذى أفزعه منظر زياد وتلك الدماء التى لطخت ثيابه نظر إليه خاله فى هلع قائلاً : ما الذى حدث لك كأن شياطين الجحيم تطاردك ؟

رد عليه

زياد لاهثا فى هلع : لقد قتلتها تلك الخائنة اللعينة.

عبدالمحسن : ادخل أولا وأهدأ ثم أخبرنى بكل شىء

صحبه خاله إلى داخل المنزل وأجلسه وقصَّ عليه زياد كل التفاصيل والتى استمع إليها الخال عبد المحسن بتركيز واهتمام، ومإإن انتهى زياد من قصته حتى نظر إليه فى اشفاق قائلاً :يالها من حكاية مؤلمة وحزينة.

صمت لحظات ثم واصل حديثه قائلا: عليك أن تختفى عن الأنظار وأن تغادر هذه القرية؛ لأن الشوامخ لن يتركوك ..وإذا ما نجوت من الشوامخ فلن تنجوا من أبناء عمك وإذا نجوت من هذين الأخيرين فلن تركك الشرطة.

زياد مندهشًا :الشرطة ؟ أين هى الشرطة ؟ لو أن هناك

شرطة ما وصلنا إلى هذا الحال .

عبدالمحسن : لا تغرك هذه الزوبعة الفنجانية فمصر دولة قوية سرعان ما تعود إلى تماسكها وقوتها وستعود الشرطة وسيعود الأمن قريبًا إلى الشوارع .

زياد : والآن ماذا يجب أن أفعل ؟

عبدالمحسن : عليك أن تختفى عن العيون قليلاً ثم ترحل إلى القاهرة .. سوف أرسلك إلى مزرعة دواجن نائية فى الصحراء ...أنت تعرفها جيدًا تلك التى يتولى أمرها أحمد ابنى الأكبر ...حينما يحل الظلام سوف تستقل دراجة بخارية وسوف يتولى أحمد ابن خالك بقية الأمر حتى ترحل إلى القاهرة.

بالنسبة لزياد كل الطرق تؤدى إلى الموت ..لم يشعر بنفسه وهو يفعل ما فعل، ولكنه لم يجد بُدًا أو مفرًا من ذلك ..لم يعد يشعر بشىء فلا وقت لديه للندم.

_عليك أن تنتبه لنفسك جيدًا وأن تسلك طريقًا نائيًا غير مطروق فقد اتصلت بأحمد ابن خالك وهو فى انتظارك الآن ..فليحفظك الله يا بني .

نطقها عبدالمحسن وهو يودع زياد ذلك استقل تلك الدراجة البخارية وانطلق بها في صمت انتابته حالة من الرعب والفزع وهو يسير بدراجته البخارية في تلك الطرق الخالية من البشر وقد أطفأ الأنوار حتى لا يعرفه أحد.

ـ هدئ من روعك مستر زياد واترك همومك على الله فقد حدث كل شيء بقضاء الله.

نطقها أحمد محاولاً تهدئة زياد والذى ظهر عليه الرعب والفزع والتعب وحينما لم يتلقى أحمد ردًا من زياد أردف قائلاً :سوف أحضر لك بعض الطعام.

وبلا رد من زياد شرع فى إحضار الطعام ووضعه أمام زياد والذى تناول لقيمات قليلات ثم أسند ظهره إلى الحائط

فنظر إليه أحمد قائلاً : هل ترغب فى تناول كوبًا من الشاى أم أنك تفضل أن تنام.

نظر إليه زياد قائلاً لا مانع من قليل من الشاى .

فى أذنى زياد ما زال دوى تلك الطلقات الموجهة إلى بيت لوندى ترن فى أذنيه ..

مازال مشهد شهد فى أحضان ابن عمه ربيع ماثلاً أمام عينيه، ما زال فى عقله ووجدانه صورة الأقباط وقد أخرجوا من ديارهم المنهوبة والمسلوبة ...

ما زالت عيونهم الزائغة الفزعة تلاحق أفكاره

ترى هل هى القيامة ؟؟ ونحن الآن نشاهد ذلك العذاب نتيجة لما أسلفنا وما قدمنا من آثام وذنوب ؟؟ لابد أن آثامنا وذنبونا عظيمة لنرى هذا الكم من العذاب ؟

ـ تفضل الشاى يا أستاذ زياد .

انتزعته هذه الجملة التى نطقها أحمد من شروده قليلاً فتناول كوب الشاى فى شئ من الذهول والشرود وبعد أن انتهى من شرب الشاى نظر إليه أحمد فى شفقة قائلا: تعال معى بعيدًا عن هذه الحجرة .

تبعه زياد فى صمت حتى وصل إلى حجرة بسيطة مبنية من الطوب الجيرى الضخم والذى يسميه أبناء الصعيد بالبلوكات حيث وجد فى انتظاره سرير بسيط وهناك بجوار الحائط برميل من الصاج فوقه جهاز تلفزيون من النوع القديم متصل

بمستقبل القنوات الفضائية ..

لم يأبه زياد كثيرًا بتلك التفاصيل وبلا كلمة واحدة توجه إلى الفراش واستلقى فى استسلام ..دوى كصوت آلاف المدافع يدق فى رأسه ومع ذلك فقد راح فى ثبات عميق لم يدر كم مر عليه من الوقت نائمًا إلا أنه حينما استيقظ نظر فى هاتفه فوجدها الثانية عشر ظهرًا، ظل فى مكانه لحظات حتى حضر إليه أحمد والذى بادره قائلاً : صباح الخير يا أستاذ زياد

زياد : صباح الخير يا أحمد.

أحمد : قم واذهب إلى دورة المياة واستبدل ملابسك ببعض الملابس النظيفة خاصتى فمقاساتك لا تختلف كثيرًا عن مقاساتى.

نهض من الفراش كسير النفس محطم الوجدان يغشاه شعور بالانكسار والهزيمة ...يالها من حياة غريبة بالأمس القريب كان ينام فى فراشه الوثير والآن أصبح طريدًا بلا مأوى .....بعد أن انتهى من استحمامه عاد ليجد بعض الطعام وأحمد فى انتظاره.

أحمد :هيا لتتناول بعض الطعام ونتدبر ماذا عسانا أن نفعل ؟

جلس إلى الطعام بلا تفكير بالرغم من انعدام شهيته تمام إلا أنه تناول القليل من الطعام ..

أحمد : عليك أن تتناول الطعام وتستريح حتى المساء وعندها سوف تستقل سيارة ربع نقل إلى القاهرة .

نطقها أحمد ثم أخرج من جيب مبلغا من المال ناوله لزياد قائلاً : خذ هذا المال فسوف تحتاج إليه.

تناول زياد المبلغ بلا تردد فقد ترك القرية وخلفه كل ما يملك، ثم نظر إلى أحمد ممتنًا ثم استلقى فى فراشه استعدادا لتلك الرحلة الشاقة.

وفى المساء وقبل بدأ الرحلة عانقه أحمد فى حرارة قائلاً :انتبه لنفسك جيدًا...داعبه هواء الليل العليل فأسند رأسه إلى المقعد وذهب فى سبات عميق.

ـ حمدًا لله على سلامتك !

نطقها السائق بعد أن وصل إلى حى العمرانية بالجيزة ففتح زياد عينيه فى دهشة قائلاً: سلمك الله هل وصلنا إلى العمرانية ؟

السائق : نعم وصلنا ..إنها الثالثة فجرًا. ولكن يُخيل لى أنك لم تنم منذ أيام فمنذ أن غادرنا وحتى وصلنا إلى القاهرة وانت تغط فى نوم عتيق ؟

وقبل أن يرد عليه زياد فتح باب المخزن رجل فى العقد الخامس من العمر نظيف الثياب موفور الصحة والعافية أنه المعلم غندور صديق زياد القديم والذى تخلى عن العمل بشهادته الجامعية وقرر أن يعمل فى مجال الخردة والذى ماإن رأى زياد حتى انفرجت أساريره وتبسَّم قائلاً : يالها من مصادفة سعيدة أن أراك يا ابن الصاوى.

زياد:أهلاً بالصديق العزيز غندور.

غندور : تفضل بالدخول.

دخل زياد وما أن دخل حتى بادره غندور قائلاً:فلنتناول طعام الإفطار أولاً وبعدها نتحدث فأنى افتقدتك كثيرًا.

قالها ثم خرج لحظات وعاد ومعه صينية عليه الطعام وما أن انتهيا من الطعام حتى نظر إليه غندور قائلاً:أشعر أن هناك خطبًا ما ألم بك. هل لى أن أعرف مصابك ؟

هز زياد رأسه موافقاً فى أسي ثم شرع فى سرد ما جرى له منذ البداية وحتى وصوله إلى القاهرة وما أن انتهى من حكايته حتى نظر إليه غندور فى أسى قائلاً : يالها من قصة مؤلمة حزينة.

قالها ثم أطرق لحظات صامتًا مفكرًا، ثم نظر إلى زياد قائلاً: جميع من يعملون هنا من أبناء القرية وبقاءك هنا ليس من اللائق أظن أنه من الأفضل لك أن تذهب إلى العاشر من رمضان فلديَّ مخزن للخردة هناك وجميع من يعملون فيه ليسوا من أبناء القرية ولن يعرفك أحد هناك ...أظن أنه من الأفضل أن نتحرك الان قبل أن يبجيء العاملون هنا ...تفضل معى إلى السيارة سنتوجه إلى مدينة العاشر من رمضان ...

قالها ثم نهض فتبعه زياد فى صمت إلى السيارة ...لم ينعشه الهواء العليل القادم من نافذة السيارة وهو يلاحظ تلك المدينة الغارقة فى لذه النوم والأحلام لم يتبادلا كلمة واحدة طوال الطريق فغندور يعلم تمامًا خطورة الموقف وجبروت الشوامخ وزياد صديق عمره وإن افترقا بسبب العمل ...مزيج من الهم واليأس والتعب والحزن هى تلك التى ألمت بزياد وسجنته بإحكام بين قضبانها ...أعجزه اليأس حتى عن التفكير فجلس مستسلمًا لمصيره حتى وصلت السيارة إلى وجهتها المحدّدة

فنزل غندور وخلفه زياد ياله من مكان ...فهذا المخزن فى منطقة عشوائية عبارة عن مساحة واسعة تنتشر بها أكوام الخردة وحجرتان ودورة مياه غير آدمية بالمرة.

ـ تفضل بالدخول.

نطقها غندور بعد أن فتح إحدى الحجرتين والتى تحتوى على فراش بسيط عبارة عن سرير عليه مرتبة غير نظيفة وإلى جوار السرير توجد كنبة عارية وهناك فى أخر الحجرة مائدة عليها تلفاز متصل بالرسيفر نظر غندور إلى زياد ثم أردف مواصلاً:

يمكنك أن تستريح هنا ولا تخبر أحدًا بحكايتك ..فقط أخبرهم أنك من أقاربي ولا تخبرهم بشيء غير ذلك

زياد:حسناً لا تقلق.

غندور :سوف أتركك لتستريح وسوف أعود إليك عند العصر مع حضور السريحة آخر النهار لكى أستلم منهم الخردة . فى الحجرة الثانية سوف تجد ثلاجة بها بعض الطعام وكذلك بوتاجاز وكل ما تحتاج إليه وعندما أعود إليك سوف نبحث

لك عن شقة لتقيم فيها.

قالها وانصرف تاركًا زياد حتى قبل أن يرد عليه ثم أغلق الباب خلفه واستقل سيارته ثم انطلق مبتعدًا تاركًا زياد وحيدًا فى هذا المكان القذر ....تجوّل زياد ببصره فى هذا المكان وفى حلقة غصة وألم لا يستطيع كاتب مهما بلغت مهارته أن يصفهما ... شىء من الصداع الضبابى قد اكتنف عقله فألقى بنفسه على الفراش فى يأس وذهب فى سبات عميق..

إنه سبات الخائف المتوتر الوجل ونظرًا لأنه لم يعتد على السفر والترحال فقد كان نومه أشبه بالغيبوبة..

لم يدر كم مر عليه من الوقت إلا أنه حينما استيقظ وجد أنها الساعة الثانية ظهرًا ...أيقظته حرارة الجو فنهض من فراشه وتوجه إلى المرحاض علَّ الماء يطفيء شيئًا من ذلك الجحيم المستعر فى كيانة .....

بعد أن انتهى من استحمامه شعر بالجوع فتوجه إلى تلك الثلاجة حيث وجد بها شيء من الطعام لم يعجبه ثم عاد إلى فراشه من جديد ياله من يوم قائظ شديد الحرارة ...إلى حد ما خففت تلك المروحة من حرارة الجو إلا أنه عاد بذاكرته إلى بيته

والذى كان يراه بسيطًا، ولكنه الآن أدرك قيمة هذه النعمة؛فكم من نعمة بين أيدينا ولكن لا نشعر بقيمتها إلا بعد أن نفقدها فما أجمل نعمة الأمن والأمان ....ياله من موقف عصيب مؤلم وياله من مآل حزين ذلك الذى آل إليه حالك يا ابن الصاوى ..

لم تطل وحدته كثيرًا فقد وصل إلى سمعه صوت محرك سيارة غندور عند باب المخزن وما هى إلا لحظات حتى طالعه وجه غندور ثانية والذى ماإن رآه على هذه الحالة حتى شعر بالأسى والحزن لحاله ثم هتف به قائلاً : أعتذر لك يا صديقي العزيز فالمكان غير ملائم بالمرة ولكنى خشيت أن أستضيفك فى العمرانية فيلمحك أحدهم فيصل الخبر إلى أهل القرية وينكشف أمرك وتصبح فى خطر.

زياد:أشكرك كثيرًا يا صديقي .وأعرف حجم المخاطرة التى تتحملها لأجلى.

غندور : لا تقل هذا يا صديقى فأنا أشعر بالأسى والحزن لما أصابك.

بالمناسبة لقد أحضرت معى طعامًا فأنا لم أتناول طعام الغدا بعد .

قالها ثم عاد إلى السيارة وأحضر منها بعض الأكياس وعاد ليخرج ما فى الأكياس من طعام شهى ما زال محتفظا بسخونته ودفئه .وضع غندور هذا الطعام على صفحات الجرائد ثم نظر إلى زياد قائلاً: هيا تفضل الطعام لن يحلو بدونك فأنا أشتاق إليك وإلى حديثك الطيب.

لم يكن زياد بحاجة لمن يدعوه إلى الطعام فمخالب الجوع القاسية كانت تنهش فى أحشائه نهشا فجلس على الأرض مواجها غندور والذى ماإن انتهى من الطعام حتى نهض وأعدَّ كوبين من الشاى ناول أحدهما لزياد قائلاً : لقد رتبت لك إقامة مع شخص أنت تحبه وسيكون أمينًا على سرك ولن يشي بك .

نظر إليه زياد متسائلاً فاستمر غندور فى حديثه قائلاً: إنه الشيخ جابر توفيق ...أظن أنك تذكره جيدًا.

زياد: أتقصد ذلك الخطيب البارع ذلك الذى كان يخطب الجمعة فى مسجد الإحسان.

غندور : نعم إنه يسكن بمفرده فى شقه قريبة من هذا المكان ..لقد كلمته عنك فرحب كثيرًا بوجودك معه ..أمَّا عن العمل فستعمل معى فى هذا المخزن تستلم الخردة من السريحة بعد

وزنها .. ثم تسجل لى حسابات المخزن.

زياد:لا أعرف كيف أشكرك ولا كيف يمكننى رد جميلك يا صديقي ...

غندور : لا تقل هذا فأنت صديق العمر ..

بعدها توالى وصول عربات الكارو المحملة بالخردة وأخذ غندور يشرح لزياد مهام عمله الجديد ومإن انتهى حتى صحبه إلى تلك البناية القريبة حيث يقيم الشيخ جابر توفيق والذى استقبل زياد بترحاب وحرارة بينما تركهما غندور وعاد بسيارته إلى العمرانية من جديد .نظر إليه الشيخ جابر وقال مواسيا : حزنت جدًا حينما سمعت حكايتك يا أستاذ زياد.

زياد: لله الأمر من قبل ومن بعد .

جابر : أظن أن الموقف أصبح فى غير صالحك فأنت الآن مطارد من الجميع ..ترى ماذا ستفعل مستقبلا ؟

زياد : لا حل أمامى سوى الهروب من مصر.....

جابر : وهل لديك ما يكفى من المال ؟؟

تنهيدة يأس وألم وحسرة خرجت من صدر زياد وهو يهتف قائلاً: كلا ليس لدى الكثير من المال فكل ما معى هو خمسة آلاف جنيه أعطها لى أحمد ابن خالى .

جابر : هذا المبلغ زهيد لا يكفى تكاليف السفر خارج مصر ...

صمت لحظات ثم نظر بتركيز إلى زياد قائلاً : لدى لك أعمال قد تحقق لك الكثير من المال وسوف تسهل لك الهروب من مصر ...

كالغريق الذى وجد أمامه طوقا للنجاة هتف فى لهفة قائلاً: أنا مستعد أن أفعل أى شيء للهروب من مصر..

ابتسم جابر ابتسامة خبيثة قائلاً : دعنا نختبر مدى استعدادك للعمل .

زياد : تختبروا؟ ماذا تقصد ؟

جابر :أقصد أنى على علاقة ببعض رجال الأعمال من ذوى المال والعلاقات ...عمومًا لا تتعجل الأمر ... بالمناسبة أنت ستنام فى هذه الحجرة حيث يمكنك أن تشاهد التلفاز وأن

تتصفح الإنترنت بسهولة.

صمت قليلا ثم قال : من الأفضل لك أن تتخلص من شريحتك القديمة وسوف أحضر لك شريحة اتصال جديدة، وكذلك صفحات التواصل عليك إغلاقها وإنشاء صفحات جديدة يمكنك من خلالها متابعة الأخبار، وخاصة أخبار القرية.

هز زياد رأسه متفهمًا ثم قال : حسنًا أنا أفهم ذلك جيدًا.

جابر : والآن سوف أتركك لتستريح وأخرج لقضاء بعض الأعمال .

قالها ثم خرج تاركًا زياد بمفرده والذى لم يجد شيئًا يفعله سوى التجول بين الفضائيات وحينما وصل فى تجواله إلى تلك القناة المعروفة والتى ما زالت تعرض جوانب معينة تقلب الحقائق رأسًا على عقب تجعلك تحب الجانى وتكره الضحية. ما زال الوضع ملتهب وما زال هناك من يحرض على مزيد من الفوضى ...

لم يعد الوضع يعنيه كثيرًا فبقاؤه هنا فى مصر لم يعد له معنى

.....يا له من وضع مؤلم ذلك الذى أصبح فيه زياد أصبح وحيدا مطاردا من أقرب الناس إليه .....حينما حاصره الحنين إلى بيته وما كان فيه فاضت الدموع من عينيه حتى وصل إلى حد النحيب ..نوبة حادة هيستيرية من البكاء ...لم يجد من يشكو له أو يمسح دموعه فقام إلى دورة المياه وفتح صنبور المياه على رأسه حتى هدأ قليلا وعاد إلى الفراش ...

وضع رأسه على الوسادة فغالبه النعاس وعندما فتح عينيه رأى مجموعة من الملتحين يحملون السلاح فنهض من مكانه فى هلع وكاد أن يقفز من النافذه إلا أن صوت الشيخ جابر جاءه من خارج الحجرة قائلاً : لا تخف يا أستاذ زياد فهؤلاء هم أصدقائي.

قالها ثم ظهر من الخلف مشيرًا إلى هؤلاء الملتحين قائلاً : اطمئن ولا تفزع فهم قد حضروا للدردشة معنا قليلا ...تفضلوا بالجلوس يا رجال.

جلس الرجال التسعة على تلك السجادة الفخمة الوثيرة والتى توسطت الحجرة وقد أسند كل منهم سلاحه إلى الحائط فنظر الشيخ جابر إلى زياد قائلاً : هذا هو الأستاذ زياد ابن

قريتنا والذى حدثتكم عنه.

قالها ثم بدأ يقدم من معه من رجال لزياد ...الشيخ أسامه ..الشيخ خضر ..الشيخ سيد ..الشيخ جمل ..الشيخ ناجح ..الشيخ عمر ..الشيخ كرم ..الشيخ فتحى ...الشيخ علام.

لم يأبه ولم ينتبه زياد كثيرًا لأسمائهم فهو ليس بارع فى حفظ الأسماء كما أنه لم يشعر بالراحة نحو هؤلاء ولكنه لم يظهر لهم هذا لأنه فى حاجة ماسة إليهم ...

يالها من علاقة كلبية جديدة ....

نظر إليه الشيخ أسامه قائلاً : لا تحزن يا أخ زياد فلعله خير ...عمومًا نحن سوف نسعى جاهدين لتهريبك من مصر وقد ناقشنا الأمر قبل أن نصل إلى هنا.

جذبته هذه النقطة فنظر إلى الشيخ أسامه فى اهتمام مردفا : بارك الله فيكم وجعله فى ميزان حسناتكم.

نظر الشيخ خضر إلى جابر قائلاً : أظن أننا لن نقضى ليلتنا فى الكلام ونحن نتضور جوعًا ..

لم يكد ينطقها حتى نهضوا من أماكنهم لإعداد الطعام الذى أحضروه معهم من الخارج حاول زياد أن يقدم شيئًا من المساعدة لكنهم أقسموا عليه لأنه ضيفهم ... وبالرغم من تلك الحفاوة إلا أن تلك الكلبية والتشاؤمية ما زالت تسيطر على زياد ...ترى ما الذى يخبئه لك القدر مجددًا يا ابن الصاوى ؟؟

ـ هل ستظل تتأمل فى السقف كثيرًا وتترك هذا الطعام الشهى يا أستاذ زياد؟؟

نطقها الشيخ جمل داعيًا زياد إلى الطعام والذى نزل إلى تلك المائدة اللذيذة بلا تردد فالطعام وفير وشهى وبسبب الجوع لم ينتبه للطريقه التى كان يأكل بها هؤلاء الرجال بل تفاعل معهم بطريقة لم ينتبه إليها هو نفسه ....

لم يستغرقوا كثيرًا فى جمع فضلات تلك المائدة فقد التهموا كل الطعام تقريبًا وما تبقى سوى الأطباق التى جمعها اثنان منهما ثم حملاها إلى المطبخ ثم عادوا بأكواب الشاى.

_هؤلاء الأخوة يعملون لدى رجل أعمال شهير من ذوى النفوذ ...يحرسون ممتلكاته وينفذون له بعض المهام ...والآن سوف نستأذنك ونذهب إلى الحجرة الأخرى . لنتاقش في

بعض الأمور السرية الخاصة بالعمل ..قالها جابر ثم توجه إلى إحدى الحجرات المغلقة ففتحها ثم دلف إليها وتبعه الرجال يحملون أسلحتهم...وتركوا زياد فى حيرة من أمره ...

استمر اجتماعهم قرابة الساعة ونصف الساعة ثم غادروا الشقة فتبعهم جابر فأغلق باب الشقة من خلفهم وعاد إلى زياد قائلاً : أتمنى أن يظل كل ما رأيته هنا سرًا لا يعلمه أحد ...فلولا معرفتى بك فى القرية وأنك أهل للثقة ما أطلعتك على هذا الأمر .

زياد: أنت تعلم أنى لا أعرف أحد هنا فى هذا المكان سواك أنت وغندور.

جابر : ولا حتى غندور ...عدنى بذلك.

زياد: أعدك بذلك.

جابر : والآن أتركك لتستريح فقد مضى الليل .. ..أنا سأدخل إلى الحجرة الأخرى وسأتركك هنا لتستريح كما تشأ ولكن لا تنسي أن تتخلص من شريحتك القديمة و كذلك صفحاتك القديمة على مواقع التواصل أغلقها وأنشيء

صفحات جديدة بأسماء وهمية...

قبل أن أنسى لقد أحضرت لك بعض الغيارات الداخلية والملابس وكذلك شريحة هاتف جديدة.

قالها وانصرف تاركًا زياد فى تلك الحجرة يتأمل فى تلك الأشياء التى أحضرها له الشيخ جابر ...

ـ ترى ما المقابل الذى ستدفعه يا ابن الصاوى؟

ترددت هذه العبارة فى حنايا عقلة ولكنه لم يشغل باله بالأمر فليس أمامه أى خيارات غير هذا ....ألقى بجسده على الفراش عل النوم يأتيه ولكنه لم يفعل ....

كان يتوقع أن يوقظه الشيخ جابر لصلاة الفجر، ولكنه لم يفعل ؛توقع زياد أنه قد نام ... تجول فى أرجاء الشقة ...وقف كثيرًا فى النافذة يستنشق نسمات الليل العليل ....وقبل شروق الشمس ألقى بجسده على الفراش فذهب فى نوم عميق ....

ـ استيقظ يا زياد..

فتح زياد عينيه ليجد الشيخ جابر يقف إلى جوار فراشه

فهتف زياد متسائلاً : كم الساعة الآن يا شيخ جابر؟؟

جابر: إنها الساعة الثانية ظهرًا...وأنا سوف أغادر الشقة لبعض الأعمال وأخشى أن تظل نائمًا ولا تذهب إلى عملك فى مخزن الخردة.

زياد :أشكرك يا شيخ جابر وجزاك الله خير الجزاء .

جابر : أنا سوف أغادر الآن، ولكن عليك قبل أن تخرج أن تتأكد من غلق الباب جيدًا فقد تركت لك نسخة من مفتاح الشقة ...

قالها ثم انصرف تاركا زياد بمفرده فى الشقة... بينه وبين نفسه زياد آلاف الأسئلة تتدفق كالطوفان ..ترى ما العمل الذى يمارسه الشيخ جابر ؟؟ وما سر هؤلاء المسلحين ؟؟ حمل السلاح هذه الأيام أمر متاح للجميع..

لم يشغل نفسه كثيرًا بالبحث عن إجابات لهذه الأسئلة فمهما يكن عملهم هو يحتاج أليهم ...استبدل ملابسه وذهب إلى مخزن الخردة حيث حضر السريحة واستلم ما معهم من خردة ودوَّن الحسابات حتى حضر غندور وسلَّم كل سريح منهم حسابه،

وكذلك نقد زياد مبلغا من المال سائلاًإياه عن حاله ولم يبقَ طويلاً بل عاد إلى العمرانية، وعاد زياد إلى الشقة حاملاًمعه بعض الأطعمة وبقى فى انتظار جابر ورفاقه والذين وصلوا إلى الشقة مبكرًا عن المرة السابقة..

نظر جابر إلى زياد فى استنكار قائلاً : لم يكن من الضرورى أن تحضر هذه الأشياء فأنت ضيفنا وكذلك أنت فى حاجة إلى كل مليم لكى يساعدك فى الهروب خارج مصر ؟؟؟؟

زياد :سامحنى فأنا.....

قاطعه الشيخ أسامه قائلاً : رجاءً لا تفعلها ثانية فأنت ضيفنا.

زياد : أنا أعتذر فقد ظننت أنه من اللائق أن أفعل هذا.

الشيخ خضر : دعونا من هذا الحديث وأخبرنى أنت يا شيخ أسامه كيف كان يومك ؟؟؟

تردد أسامه قبل أن يتكلم فنظر جابر إليه قائلا:لا تقلق فزياد أصبح واحد منا.

الشيخ أسامه : كان يومًا حافلا لقد دفعت لرجالنا الكثير من المال ليشعلوا المظاهرات فى منطقة رمسيس ونفذت تلك المهمة التى كلفنى بها شيخنا الجليل ...

حكى كل منهم عن المهام التى أنجزها وعن الأماكن التى أشعل فيها الفتن والمظاهرات ..ياله من حظ عاثر هذا الذى يطاردك يا ابن الصاوى .... ليس لديه أى خيارات على الإطلاق سوى الإذعان والامتثال لهؤلاء على الأقل حتى يساعده هؤلاء على الهروب خارج مصر .....

نظر إليه أسامة قائلاً : ما رأيك أن تعمل معنا يا أستاذ زياد ؟ فترة بسيطة حتى نتمكن من تهريبك إلى الخارج ..إنه عمل بسيط للغاية ..فقط سوف تسلم أمانة لأحد الأشخاص ..ما رأيك ؟؟

زياد : ولكنى لا أعرف الكثير عن شوارع وأحياء القاهرة.

جابر : لا تقلق سوف نصف لك الطريق جيدًا ... كما أن هذا الأمر سيكون فى الصباح قبل موعد عملك فى المخزن

رد زياد قائلاً: حسناً.

فى الصباح الباكر نفّذ زياد ما طلبه منه جابر بدقه حيث قام بتسليم حقيبة جلدية لطبيب فى مدينة نصر..

لم يفكر لحظة واحدة فى محتوى هذه الحقيبة المريبة ولكنه مستعد أن يفعل أى شيء للهروب من مصر.

ـ أحسنت يا مستر زياد لقد فعلتها بنجاح.

نطقها الشيخ جابر فى حماس أثناء تلك الجلسة المعتادة، ثم أخرج من جيبه مبلغا من المال قدمه لزياد والذى رفض أن يأخذه قائلاً : أشكرك جزيلا يا شيخ جابر ألا يكفى أنكم آويتمونى ولم تبخلوا عليَّ بشيء.

نظر إليه الشيخ سيد معاتبًا : لا تقل هذا يا أستاذ زياد فأنت واحد منا ...خذ المال ولا تتحدث كثيرًا. ..

وضع المبلغ فى جيبه دون أن يناقش ..

تكرَّرت تلك العمليات حتى وجد زياد نفسه متورطاً مع هؤلاء فى عمليات أشد وأقسى... لقد غسلوا له دماغه وأصبح شخصًا آخر أكثر طاعة للأوامر والتعليمات لدرجة أنه قد اشترك معهم أكثر من مرة فى مهاجمة كمائن للجيش والشرطة

..ومع ذلك فقد استمر زياد فى تصفح أخبار القرية ....إنه العاشر من أكتوبر عام ألفان وأربعة عشر لاحظ زياد منشورًا غريبًا على صفحات الفيس بوك..منشور يحوى أسماء المطلوبين والمتهمين فى مقتل لوندى ...شهق فى دهشة أثارت أفراد الجماعة من حوله فهتف قائلاً :يا إلهي !!

نظر إليه جابر فى دهشة متسائلاً : ما الخطب ما الذى أقلقك إلى هذا الحد ؟

أشار زياد إلى أسماء المطلوبين وعلى رأسهم كان اسمه.

زياد :هذا ما كان ينقصنى حقا ؟

أسامة: ألم أخبرك أنها حكومة ظالمة ؟

زياد : الحكومة لا تعرف كل هؤلاء وليس بينها وبينهم عداوة؛ هناك من أبلغ الأمن بالأسماء وهو بالتأكيد من القرية وليس من الفضاء الخارجى ..كما أن هناك من قام بتصوير الأحداث وقدَّم التسجيلات للأمن ...المشكلة ليست فى الأمن أو الحكومة وإنما فى بعض أبناء القرية وليس جميعهم حتى نكون منصفين ...

نظر إليه أسامة نظرة مستنكرة قائلاً : هل تقصد أن الأمن برئ والحكومة عادلة ؟

انتبه زياد فجأة إلى أن تصريحه الأخير يتعارض مع فكر الجماعة ومبادئها فهتف مستدركًا : حتمًا لا أقصد هذا فالحكومة ظالمة، ولكنى أقصد أن الكثير من أفراد القرية وشاة.

تنهد أسامة فى راحة قائلاً : ظننتك تقصد شيئاًآخر !!

زياد :كلا يا سيدى فأنا معكم قلبًا وقالبًا.

فجأة قفز جمل من مكانه وتوجه نحو النافذة فهتف به جابر: ما الخطب يا شيخ جمل ؟

جمل : لقد لمحت أضواء مريبة وأخشى أن تكون سيارات الشرطة تحاصر المكان ....

لم يكد ينتهى جمل من عبارته حتى التقط كل منهم سلاحة واستعدوا جميعًا للقتال، ولكن بعد فوات الأوان فقد حاصرت الشرطة تلك البناية بإحكام ثم تلا ذلك إطلاق نار كثيف بدأه جابر ومن معه ...استمر تبادل إطلاق النار قرابة الساعة ثم هدأ كل شىء كما بدأ ..وعندما اقتحم رجال الشرطة وجدوهم

جميعًا صرعى ... يالها من نهاية مؤلمة وحزينة يا ابن الصاوى.

هناك في تلك القرية جلس الحاج ممتاز خلف مكتبه في مدرسة الشهباء مطرقاً حزيناً يتأمل علّام ـ بعد أن حلق لحيته ـ وهو يسب ويلعن في جماعة الإخوان...

ياله من شخص متحول يأكل على كل الموائد وفجأة اقتحم المكتب ذلك الطائش مستر حماد حاملاً معه جريدة يومية فنظر إليه الحاج ممتاز:ترى ماذا تحمل لنا هذه المرة يا وجه الخير؟

وضع مستر حمّاد الجريدة على المكتب قائلاً:لقد مات زياد الصاوى في مدينة العاشر من رمضان في تبادل لإطلاق النار مع الأمن ...تخيلوا لقد كان من خلايا الإخوان الخفية وخدعنا جميعًا.

هتف الحاج ممتاز مرتاعًا :ماذا تقول أيها المشئوم ؟

قالها وهو يلتهم ذلك الخبر بعينيه وهو يشاهد صورة زياد في الجريدة صريعًا.

علام : لم أشك لحظة واحدة أنه إرهابى ...وقد صدق ظنى.

لم يلتفت الحاج ممتاز لحديثهما فقد غالبته دمعتان حزينتان سالتا على وجنتيه قائلاً:لا يعلم ببواطن الأمور وخفاياها إلا الله ... ولكنى أسال الله أن يحفظ مصر من كل سوء.

قالها ثم نظر إلى علام وحماد قائلا:هيا فليذهب كل منكما إلى عمله.

وما إن غادرا المكتب حتى انخرط فى بكاء شديد.

تمت

محمد على محمد حماد

(مستر حماد)

فى الثانى من نوفمبر ٢٠١٩